المكتبة الصوفية

كتاب
منازل السائرين

لشيخ الإسلام عبدالله الأنصارى الهروى
(ت ٤٨١ هـ)

تحقيق وضبط وتعليق

الأستاذ الدكتور
أحمد عبدالرحيم السايح

المستشار
توفيق على وهبة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد – القاهرة
ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ ٢٥٩٣٨٤١١ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الهروى ، عبد الله بن محمد بن على الانصارى ، ١٠٠٦-١٠٨٩
كتاب منازل السائرين / عبد الله الانصارى الهروى ، تحقيق وضبط وتعليق
احمد عبد الرحيم السايح ، توفيق على وهبه
- ط ١ – القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
٢٤٠ص، ٢٤سم
تدمك : 977-341-334-9
١- التصوف الاسلامى
أ- السايح ، احمد عبد الرحيم (محقق)
ب- وهبه ، توفيق على (محقق) ج- العنوان
ديوى : ٢٦٠

رقم الايداع : ٢٠٠٧/١٣٨٤٢



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذى أنعم على الإنسانية بنعمة القرآن الكريم ليكون هاديا لهم إلى السلوك المستقيم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذى علم السائرين إلى منازلهم، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،

فإن لله سبحانه وتعالى نعمًا تطالع الناس صباحهم ومسائهم، وتحيط بهم من فوقهم، ومن تحتهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. منها المنظور المستور، والمعلوم والمجهول. تفيض عليهم بآثارها الملموسة فى أنفسهم، وفى آفاقهم.

وفى طليعة هذه النعم التى أفاضها الحق تعالى على عباده نعمة الحياة والإيجاد، نعمة الخلق، والإمداد، والإعداد، مما غدا به الإنسان أعظم آية من آيات الله فى خلقه، تشكل أروع أداة للدلالة على وجود الخالق البارئ المصور، وضرورة الإيمان به والاعتراف بفضله، ووجوب التحية إليه وحده، بما وجب فى حقه من الإجلال، وحتمية استشعار عظمته، وسلطانه، وتعميق الخضوع له، والخشية منه، وتأكيد الحب فيه، والولاء له، ووجدان الأنس به، والاسترواح بذكره، والشوق إلى لقائه، والسكينة إلى جواره.

تلك هى العبادة الواجبة لله عز وجل. لا يجد الإنسان كيانه إلا فيها، ولا امتداده إلا بها، ولا وجوده إلا فى الالتزام بها قولا وعملا، أمرا ونهيا، خلقا وسلوكا، واقعا وتطبيقا.. لقد غداالإنسان للكون سيدا فلا أقل من أن يمضى لله عبدا، ولحق الله تابعا...

إن الوجود كله عابد بطبيعته، منصاع لوظيفته. لا يسعه إلا أن يطيع ربه فى ولاء لا يشوبه استنكاف، ولا يطاوله تأب.

بل إنه جميعا من أعلاه إلى أسفله، يهتف فى البداية من عالم الأزل بلغة المقهور أمام عظمة القاهر... وهتاف العابد أما قدسية المعبود بما سجله الحق فى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت، الآية رقم ١١].

والإنسان - وإن كان يساوق الكون فى العبادة بفطرته، فإنه ينبغى عليه أن يفوقه فى العبادة منزلة، وأن يعلوه فيها درجات تتناسب وحقيقة الفرد، وتكوينه المتميز بالعقل والإرادة، والاختيار، والميول، والنزعات، والرغائب.

وأن يكون لهذه العبادة الاختيارية نمطها الخاص الذى يواكب الفطرة.

إن العبادة حق الله على عباده، ما خلقهم الله إلا لها، ولا رضى عنهم إلا بها. وما زاولوها، ومارسوا شعائرها فى إخبات وخشوع، وفى تذلل وخضوع، وخوف منه، يشفعه الرجاء، وتضرع إليه يحدوه الأمل، وعرفانا له بحقه عليهم وواجبهم نحوه، مستبقين فى حلبته، مسارعين إلى خيره..

إلا أبدلهم الله من الضيق فرجا ومن الشدة مخرجا، ومن القلق اطمئنانا، ومن الخوف أمنا.

.. ثم غفر زلتهم، وأقال عثرتهم، وقبل أوبتهم، ورحم ضعفهم، وجبر كسرهم، وأخلف لهم ما بذلوا، وضاعف لهم ما عملوا، ويسر لهم أسباب قبوله، وفتح لهم أبواب رضوانه، فجمع بهم أطراف الخير، وجلعهم فى شرف قربه وجواره.

والحق أن السلوك إلى رب العالمين هو الشامة الدائمة التى بها يقف الإنسان من ربه على مكانته، متفاعلا ماضيا فى طريق الله الذى خطه له، وأرشده إليه وهداه به..

والسلوك إلى رب العالمين هو الشامة الدائمة التى هى ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود.

وليس عند القلوب المؤمنة، والأرواح الطيبة، والعقول الذكية: أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه. وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة، واللذة، والسرور، والنعيم أقوى.

وإن من الحقائق التى لا مرية فيها: أن الإنسان لا يتأتى له أن يلج باب الله، أو يسير فى الطريق إليه.. إلا بالعبودية الخالصة لله وحده لا شريك له..

فإذا ما تمخضت العبودة لله سبحانه، وأصبح الإنسان من عباد الله المخلصين، وحقق بذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإن الله سبحانه لا يجعل للشيطان عليه من سبيل.

وإذا ما حقق الإنسان العبودية، فإن الله يتولاه. إنه سبحانه وتعالى يقول عن موسى وفتاه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف، الآية رقم ٦٥].

إنه حقق العبودية، فكان ثمرة ذلك أن يغمره الله بالرحمة، وأن يفيض عليه بالعلم. وليست المعرفة وحدها هى ثمرة التحقق بالعبودية، بل إن للتحقيق بالعبودية ثمارا كثيرة سامية..

ولقد حقق رسول الله ﷺ العبودية كاملة تامة.. لقد حققها فى ذروتها.. فكانت صلاته، وكان نسكه، وكانت حياته بأكملها، وكان موته لله رب العالمين لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام، الآية ١٦٢-١٦٣].

والإسلام الحنيف قد حرص على إحاطة الإنسان بمناعات عقدية وخلقية وتربوية تحول دون أن يتأثر هذا الإنسان بالمغريات أو التيارات التى تنال من كرامته، أو تحط من مكانته..

كما زود الإسلام بمضادات ذات قيم فعالة، تعالج ما قد يبتلى به من إصابات سلوكية تؤدى به إلى الهاوية، أو تنجم عنها أعراض وخيمة.

ذلك لأن فى الإنسان (قابلية التأثر) وهو يملك (القدرة على التأثير) فكان لا بد من ضيانة قـابلية التأثير لديه. لكى لا يكون مـجالا رحبا للمؤثرات الخـارجية المنافية للفطرة السليمة، والذوق الرفيع والكمالات الإنسانية.

ولأن الإنسان يملك القـدرة على التأثير فـيما حوله أصـبح من الضرورى أن يظل هذا الإنسان سليما لتظل تأثيراته سليمة وصحيحة.

فـالنظرة الشمـوليـة التى يرتكز عليـها الفكر الإسـلامى فى تقـويم السلوك الإنسانى تقـرر: أن هذا السلوك ينعكس لا على حيـاة الإنسان فـحسب، بل على الموجودات كافة بشكل مباشر أو غيـر مباشر.. إذ ما من طاقة إلا ولها أثر؛ لذلك اهتم المنهج الإسلامى بالسلوك باعتباره العامل الحاسم.

يقـول أحد العلمـاء: والإسـلام يعتـمد فى توجيـه السلوك البشـرى على موضوعية الأخلاق، وفطرية البصيرة التى ندركها فى بساطة ونقاء.

وفى الوقت نفسـه تزود الإنسان بالطاقـة والقدرة وتنفخ فيـه العزيمة والإرادة للوفاء بمقتضاتها، وتتدخل فى الأحوال التى تلتـبس فيها الأمور على هذه البصيرة الفطرية أو التى تغلب فيـها الشهوات والرغـبات البشرية لتجلـو وجه الحق، وتبرز معالم الخير والبر.

ومن هذه الناحـية تـلبس الأخلاق ثوبهـا الإسـلامى، وتصطبغ بالصـبغـة الإسلامية، ويصبح الوفاء بمقتضاتهـا، والتمسك بقواعدها، مبنيا على المعنى القائم بالعقيدة.

بحيث يجـد الإنسان فى امـتثال هـذه الأخلاق الإسلامـية توافقـا بينه وبين عقيدته يبعث فى نفسه الرضا والاطمئنان والاستقرار.

وأجلاء الصـالحين قد اتخـذوا من سلوك النبى ﷺ نبراسًـا استـضاءوا به، فاستخلصوا من حياة الرسول ﷺ سلوكا تسامى بهم..

وإن الاقـتداء برسـول الله أسـاس أصـيل لسلوك المؤمنين إلى الله.. قـال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب، الآية رقم ٢١].

فلا شىء يفيد الإقناع واليقين كرؤية الشىء مـاثلا متحققا، ، وتحقق السلوك إنما يتم عن طريق وجود القدوة أو المثل الكامل، ولقـد كان رسول الله ﷺ أعظم حافز لمن يريد السلوك الحق. .

ويذكر العلماء: أن وجود نموذج أخـلاقى بشرى هو أعظم حافز لمن يريد أن يبوئ للأخلاق فى نفسه محلا كريما، وأن يبذل جهده، وأن يظل على جهاده.

لأن أمله فى تحقيق غايتـه ليس مستحيلا، كما أنه ليس بعـيدا، والتهمة فى عدم تحقـيق هذه الغاية لم تعد فى اسـتحالتهـا أو بعدها، ولكن فى قصـور الجهد المبذول من أجلها.

ذلك يدفعه إلى بذل المزيد من الجهد، وسواء حقق فى نفسه المثل الأعلى أو قاربه فإن فردا يجعل هذا غايته، لهو فرد عالى الهمة، عظيم الخير والبر.

وكل فرد يـستطيع أن يحـقق فى نفسـه قدرا أكبـر من التأسى بهـؤلاء المثل البشرية العالية، يصبح بدوره أسوة وقدوة لمن لم يبلغ مبلغه.

فالسلوك الإنسانى على اخـتلاف أنماطه، وتباين أغراضه، وأوصافـه. يعتبر سلسلة من العمليات المتـتابعة المتتالية، وبشكل يجـعل من مجموعها صيـغة فعلية واحدة، تؤدى غرضها بعد أن تتجسد حقيقة سلوكية.

فالفـعل - أى فعل يقوم به الإنســان - يمر بمراحل متعـددة، تبدأ من داخل الذات الإنسانيـة، وتنتهى إلى خارجـها، وحتى تـكتمل عناصر وجـوده النفسى، والفكرى ليتخذ مرخلة السلوك الفعلى فى الحياة.

ويقوم على: أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة فالفعل يتحدد تخطيطه، ويكتمل تصوره، وتصور الغاية المستهدفة له، قبل أن يحتل موقعه فى الحياة العملية. .

ولأهميـة الفعل والسلوك الإنسـانى. اعتنى الإسـلام بتنظيم عناصـر الفعل والسلوك ووضع المقـاييس والموازين القـادرة على جـعل الفـعل محـقـقـا لـلخيـر والسعادة. .

وبإنعام نظر نلاحظ. . أن السلوك الإنسانى يعتمد على أمور أهمها: (المثير، والغاية، والنية، والقصد) ولكل من هذه الأمور أثره فى توجيه السلوك، والفعل الإنسانى.

فالمثير هو المنبه أو المحرك الذى يوقظ فى نفس الإنسان الإحساس والاتجاه نحو فعل من الأفعال. فالمثير أو المنبه ينحصر دوره فى لفت النظر، وتحريك قوى الإنسان.

فكل موضوع يلقى باستجابة عند الإنسان هو بالنسبة إليه مثير، ومنبه يدفعه نحو اتخاذ موقف معين.

ولا يمكن للمثير أن يؤدى دوره فى تقرير الموقف الإنسانى، أو إحداث سلوك معين. إلا بالاعتماد على:

- الإحساس بالمثير عن طريق وسائل الحس، والأدوات الحسية، التى تجمع المعلومات الحية.
- حدوث الإثارة الداخلية فى النفس الإنسانية بعد شعورها بالحاجة إلى هذا الشىء، فيستجيب الإنسان لهذه المؤثرات، وينفعل بها.
- اتخاذ الموقف الإرادى وإصدار الأوامر الذاتية مع موضوع الإثارة. .

وعلى ضوء هذا المفهوم يبنى الإسلام موقفه هذا على أساس منطلق عقدى، وموضوعى، منسق.

فالمنطلق العقدى يقوم على أساس الإيمان بوجود علاقة وثيقة بين ترتيب المسئولية والجزاء على الفعل الإنسانى وبين عدل الله سبحانه.

لهذا أولى الإسلام أهمية كبرى لكل عنصر من العناصر التى تتعامل مع المثير، فنظمه ووضع الضوابط والمناهج التى توجهه نحو الخير.

وانطلاقا من هذا الاهتمام بدور الحافز والمثير وضع الإسلام قواعد انضباطية للاحتراس من وجود المثيرات الشاذة، والمحفزات نحو الفساد.

وتفاديا لوقوع الإنسان تحت تأثير هذه المحفزات الشاذة وضع الإسلام الموازين والمقاييس لانضباط الكلمة، والفعل، والموقف الإنسانى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء، الآية رقم ٣٤].

وبذلك كرس الإسلام كل منهاجه لإيجاد دوافع الخير، ومحفزات الإصلاح، والتكامل الإنسانى، واستئصال كل وسائل الدفع، والإثارة نحو الفساد والسقوط السلوكى. فالإنسان عندما يواجه المثير، والمحفز بحرية واختيار. يستطيع أن يقرر الموقف الذى يختاره، وينوى الفعل الذى يريده فيتجه نحوه.

وانطلاقا من هذا المفهوم جاءت الشرائع لتغيير واقع الإنسان، وتبدل صيغة حياته، ولقد فكر الإنسان منذ القديم فى أشكال السلوك التى ينبغى أن تكون للإنسان شرعة ومنهاجا. فتعددت لذلك المناهج وتغايرت.

ولما كانت الأشكال السلوكية إما هى فى الحقيقة صدى للدوافع إليها، فقد ارتقى البحث إلى تلك الدوافع، واختلفت الآراء فى تقدير الدافع الذى ينبغى أن يكون حتى يؤدى إلى السلوك الذى ينبغى أن ينتهج.

فذهب أبيقور اليونانى: إلى أن مبدأ اللذة الشخصية هو الذى ينبغى أن يدفع إلى سلوك، فيتكيف شكله بما يحقق اللذة..

ويقول كانت: (إن الشعور بالواجب هو الدافع الأوحد إلى سلوك إنسانى يتصف بالأخلاقية).

وذهب دوركايم إلى أن الدافع الأرفع هو نفع المجتمع يقول: فإننا نلقى من داخلنا الأوامر التى يفرضها المجتمع علينا، وينبئنا بها عما يجب علينا أن نفكر به أو أن نحققه فى أعمالنا وسلوكنا.

أما موقف الإسلام فى معالجة السلوك الإنسانى، فيغاير كل المذاهب الإنسانية سواء من حيث الشكل أو من حيث الدافع..

أما من حيث الشكل فإن الإرادة الإلهية هى المحدد الوحيد لأنماطه الراسمة لحدوده... فكل مناحى التصرف الإنسانى بينت الأوامر والنواهى الإلهية الصفة التى ينبغى أن يستند عليها على نحو من الشمول والاستيعاب.

وذلك: سواء ببيان الـكيفيات ذاتها كما هو ظاهـر فى العبادات، والأحوال الشخصية بالخصوص.

أو بيان الأصول العامة والقواعد الأساسـية التى ينبغى أن يستند عليها كل ما لم تحدد كيفيته.

إن التحـديد الإلهى للسلوك الإنسـانى لهو من باب الرحـمة للإنسـان. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء، الآية رقم ١٠٧]. فـغايته خير الإنسانية وسعادتها.

أما من حـيث الدافع فإن الإسـلام يرى: أن لا دافع ينبغى أن يـكون سوى الشعور بوجوب تطبيق الأمر الإلهى. وهذا الشـعور إنما هو حصيلة لتصديق جازم بصورة ذهنية قـوامها وجود إله واحد، مـتصف بصفات الكمـال. يرسل الأنبياء، والرسل للناس مبشرين ومنذرين.

وهذه الصـورة متـأتيـة بالخبـر الإلهى الموحى به وهى مـا يطلق عليـه اسم العقيدة.

ولا يخفى على الإنسان ما للعقيدة من أهمية بالغة فى تأثيرها على الفرد فى جميع مراحل حياته... وفى كتـاب عقائد المفكرين وتحت عنوان: ما هى العقيدة الدينية؟ يقـول الكاتب عباس محـمود العقاد: (إنما نـعنى بالعقيدة الدينيـة طريقة حياة، لا طريقة فكر، ولا طريقـة دراسة، إنما نعنى بها حاجة النفس كمـا يحسها من أحاط بتلك الدراسات ومن فرغ من العلم والمراجعـة ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره...

إنما نعنى بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرءوس، أو يملأ الصفحات).

والعقيدة الإسلامـية: عقيدة استعلاء من أخص خصـائصها. إنها تبعث فى روح المؤمن بها الإحساس بالعزة من غير كبر، وروح الثقة فى غير اغترار، وشعور الاطمئنان فى غير تواكل..

حقـيقة أسـاسية من حـقائق الوجـود، وهى فى ذاتها كفـيلة بتعـديل القيم والموازين، وتعديـل الحكم والتقدير، وتعـديل المنهج والسلوك، وتعـديل الوسائل والأسباب).

وإننا إذا ما قارنـا هذا الموقف الإسلامى بمواقف المذاهب الفلسفيـة تبينت لنا عدة نقاط يختلفان فيها:

منها . . أن شـكل السلوك فى تلك المذاهب تحديده ذاتى نابع مـن الإنسان، وهو لذلك ليس محدد المعالم مسبقا، بل هو رهين ما يسفر عنه الدافع.

أما فـى الإسلام فـإن مصدر الـتحـديد علوى هو الله تعالى. ولذلـك كان التحديد مضبوطا مسبقا.

ومنهـا . . أن الدافع فى تلـك المذاهب هو دافع ذاتى صـرف. ولذلك فـإنه تغاير بين مـذهب وآخر . . أمـا فى الإسلام فإنـه باعتبـار محتـواه الذى هو تلك الصورة الذهنية الغيبية المتعالية المصدر.

إذ أنه من إعلام الله تعالى، ولذلك فهو موحـد عند الجميع، ولكن باعتبار تبنى الأفراد له، وتحملهم إياه يصبح حاملا لعنصر ذاتى من هذا الوجه . .

ومنها . . إذا كانت عـامة المذاهب الفلسفية تجـعل الغاية من السلوك شكله، بحيث إنه إذا تحقق الشكل الذى يقـتضيه الدافع فقد حـصل المبتغى، وإن لم يكن صادرا فعلا عن ذلك الدافع.

فـإن التعـاليم الإسلامـية قـد جعلت همـهـا فى الربط بين الدافع والسلوك فجعلت الـصلة بينهما صلة عضـوية، حتى أن تحقق أحدهمـا دون تحقق الآخر لا يعتبر شيئا مذكورا.

وقد عـبر ابن خلدون عن هذا المعنى فـقال: (أعلى مراتب الإيمان حـصول كيفـية من ذلك الاعتقـاد القلبى للسان وما يتبـعه من العمل مستـولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج فى طاعتها جـميع التصرفات، حتى تنخرط الأفعال كلها فى طاعة ذلك التصديق الإيمانى).

فأى سلوك لا يكون دافـعه الإيمان فإنه لا يعتبـر سلوكا مقبـولا من الوجهة الإسلامية وإن كان فى ظاهره يلائم الأوامر والنواهى الإلهية.

فالسلوك لكى يكون سلوكا مقبولا معتدا به فى التصور الإسلامى لا بد أن يتحقق فيه شرطان:

أولهما: أن يكون ثمرة للعقيدة متأتيا من دفعها.

وثانيهما: أن يكون مطابقا للحدود التى رسمتها التعاليم الإسلامية من حيث الشكل.

ومن الأمور التى يعتمد عليها السلوك الإنسانى: الغاية..

ولا شك أن لكل فعل إرادى مقصود للذات الإنسانية غاية أساسية تكمن خلف السعى نحوه، وتكون غرضا ومطلبا مقصودا له. قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ... (١٤٨)﴾ [البقرة، الآية رقم ١٤٨].

ولولا الغاية المستهدفة هذه لكان الفعل الإنسانى عبثا لا مبرر له، ولعبا لا داعى لوجوده.

وقد استنكر القرآن الكريم العبث، واللهو، واللعب. وقرر مبدأ الغاية فى كل فعل من أفعال الله سبحانه ليوحى للإنسان بحذف الفوضى والعبث من حياته، وليربط كل أفعاله بغايات واضحة، ويحدد غاية مسيرته. قال تعالى: ﴿... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران، الآية رقم ١٩١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦)﴾ [الأنبياء، الآية رقم ١٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾ [المؤمنون، الآية رقم ١١٥].

فلذلك كان قياس الفعل بقياس غايته؛ لأن الفعل ليس هو الحقيقة المطلوبة بذاتها، بل هو الوسيلة والأداة التى يحقق الإنسان بها غايته..

وسواء كانت فى نفس الفعل أو منفصلة عنه فإن قصد الإنسان، ونيته، ومساعيه تتجه دائما لتحقيق الغاية، والذى يطلب العلم والمعرفة، ويسعى جاهدا نحوهما إنما يستهدف غاية تكامل الذات، ورفع النقص الكامن فى الجهل عنها كغاية بعيدة.

وتحدد الغاية من القصد والفعل الإنسانى حسب وعى الإنسان وتصوره للحياة والعالم من حوله. لذلك عبر القرآن عن هذه الحقيقة وصورها أدق تصوير. فقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ... ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة، الآية رقم ١٤٨].

فجاء تشخيص القرآن هذا ليلقى الضوء على مسار الإنسان، وليكشف تعدد الغايات والاتجاهات الإنسانية المتصارعة وليحدد بدعوته هذه الوجهة التى يجب أن يتجه نحوها الإنسان، والغاية التى يجب أن يسعى إليها ويتسابق من أجل الفوز بها؛ ليركز اتجاهه وغايته فى كل أفعاله ونواياه فى غاية واحدة، وهى فعل الخير، والاتجاه إلى الله مصدر الخير، والكمال فى هذا الوجود، والتسامى نحو تحصيل قربه ومرضاته.

ويستطيع الإنسان المؤمن أن يجعل أعماله ونواياه وحدة غائية متجهة إلى الله سبحانه، فيوجه أعماله المباحة أيضا كالأكل، والشرب، والاستمتاع نحو غايته القصوى وهى مرضاة الله سبحانه، فيضع أفعاله هذه وأمثالها فى موضع الاستعداد الجسدى، والنفسى للعبادة والمعرفة بالله، فتتحول من فعل غايته اللذة والاستمتاع إلى عمل توصلى يسعى نحو غايته الكبرى ومرضاة الله.

قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام، الآية رقم ٧٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ... ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران، الآية رقم ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء، الآية رقم ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ... ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة، الآية رقم ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد، الآية رقم ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف، الآية رقم ٣٨].

ومن هذه الآيات وما جرى مجراها، يدرك الإنسان أن القرآن الكريم حصر وجهة الإنسان المسلم وغايته فى طلب الخير، والاتجاه إلى الله تعالى؛ ليصنع الإنسان الخير ويقتلع المقاصد والغايات الشريرة من دنيا الإنسان.

وقد اعتبر الإسلام النية روح العلم، ومقياس تقويمه، فبالنية تقاس الأعمال، وبالمقاصد توزن الأفعال، وعلى أساسها تصنف وتقوم.. يقول رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» أخرجه البخارى.

فالنية: الإرادة، وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض، إما فى الحال وإما فى المآل..

فالمحرك الأول هو الغرض المطلوب، وهو الباعث. والغرض الباعث هو المقصد المنوى، والانبعاث هو القصد والنية، وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء نحو العمل.

فالإسلام لم يعط الفعل قيمة ولا أهمية مجردة عن النية والقصد فى حال تقويمه عن الفعل، وتقديره للفاعل؛ لذلك كانت الأعمال مشرعة لتحقيق النيات.

ويقول ابن المنير: (كل عمل لا تظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة، وتعاطته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا تشترط النية فيه إلا لمن قصد بفعله معنى آخر يترتب عليه الثواب).

وبإمعان النظر فى دور النية والقصد فى تقويم الفعل، وتحديد نتيجته نستطيع أن نكتشف مفهوم الإسلام، ونظرته العامة حول هذا الموضوع الخطير الأثر فى حياة البشرية.

والمفاهيم الأساسية حول هذا الموضوع تتركز فى النقاط التالية:

- إن النية هى صورة الذات التى تتجسد فى الفعل خيرا أو شرا، وإن الفعل لا يعبر بوضعه المنظور عن حقيقة الذات الإنسانية، بل النية هى اللسان الناطق والمعبر عن طبيعة الذات واتجاه غايتها.

- إن الأعمال تقوم على أساس النيات ولا قيمة لعمل بلا نية.

- إن الجزاء وقبول العمل مرتبط بالنية لقوله ﷺ فى الحديث السابق الذكر: «ولكل امرىء ما نوى».

وهكذا يهتم الإسلام ببناء صرح العمل الإنسانى على أساس النوايا، والمقاصد الخيرة.

ويأتى تأكيد الإسلام واهتمامه بالقصد والنية منبثقا من إيمانه بوجود حقيقتين متعايشتين فى عالم الإنسان، وهما:

- أولا: الذات الإنسانية، ووضعها الداخلى.

- ثانيا: العمل الصادر عنها ونسيجه الخارجى الذى يشكل محيط الحياة، والسلوك، ويستوعب العلاقات والروابط الظاهرة بين الناس.

ويأتى اهتمام الإسلام وتركيزه على بناء الذات الإنسانية من داخلها قائما على إيمانه بأن أنماط السلوك إنما هو تعبير عن محتوى الإنسان الداخلى.

فإن لم تشكل الذات الداخلية، وتبنى بناء خيرا وسليم. لا يمكن أن يكون البناء الخارجى إلا هيكلا خاويا، وشباكا من النفاق، والوباء التى تتربص بالإنسان للإيقاع به؛ لذلك جاء قوله تعالى معبرا عن هذه الحقيقة ومحذرا منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... (٢٦٤)﴾ [البقرة، الآية رقم ٢٦٤].

أما سر الموقف الإسلامى هذا وعدم إقراره بتمثيل الفعل للفرد الفاعل إلا إذا قام على قصد ونية؛ فلأن الفعل ما هو إلا نتاج موقف إنسانى داخلى.

ولم يأت وجوده كفعل متجسد إلا بعد أن اكتمل وتحددت غايته فى داخل الإنسان، كنتاج لعوامل ذاتية أساسية هى:

١ - المعرفة بالفعل، وتصور أبعاده وغاياته.

٢ - وجود الميل والرغبة النفسية لهذا الفعل وحصوله قناعة بتطابق الفعل مع غاية النفس ومراميها المطلوبة.

٣ - اتخاذ القرار الإرادى الحاسم بإحداث الفعل، وتحريك مختلف القوى الجسدية، والفكرية والنفسية للشروع بالفعل.

فانطلاقا من هذه الحقيقة بنى الإسلام موقفه المؤمن بأن روح القصد هو روح الفعل وحقيقته.

ويربط الإسلام باهتمام بالغ... العلاقة بين هذا الوعاء والشكل المنظور للفعل. بين القصد والغاية؛ ليتأكد من تطابقه مع العناصر الذاتية التى يصنع منها الفعل بحيث يأتى الفعل صياغة حية وتعبيرا أمينا عن الدوافع والمقاصد.

فإن مارس الإنسان أفعاله ومواقفه على هذا الأساس النزيه المخلص، كان الفعل بمثابة حقيقة الذات الإنسانية وكان فاعله يستحق المجازاة عليه؛ لأنه يمثل موقفه وإرادته.

وبهذه التوعية يريد الإسلام أن يجعل سلوك الفرد المسلم قائما على أساس الاختيار اليقظ الواعى، بعيدا عن العادة الآلية التى تجعل من السلوك الإنسانى سكونا رتيبا لا يعبر عن وعى الإنسان وارتباطه بخالقه.

وكم هو سهل هدم الموقف الإنسانى والانسحاب من الفعل مهما يكن خيرا وضخما، عندما ينبنى هذا الفعل على أساس من الآلية والاعتياد بعيدا عن الوعى، والقناعة، والاتجاه الذاتى اليقظ..

لذلك حرص الإسلام على تثبيت قواعد الفعل فى أعمال الذات الإنسانية.

إن تحديد أشكال السلوك التى ينبغى أن تسلك، وتعيين الدافع الذى ينبغى أن يدفع إليها. كانت المشكلة الأساسية التى زلت فيها عقول البشر، وأتى فيها الوحى بالحل الأمثل، إلا أن هناك مشكلة أخرى متعلقة بها، ولا تقل عنها أهمية، وهى المتمثلة فى السؤال التالى: كيف يصبح الدافع مؤديا فعلا إلى السلوك العملى؟

ومن البين: أن هذه المشكلة تزداد أهمية بازدياد أهمية الصلة بين الدافع والسلوك حتى تبلغ الذروة فى التصور الإسلامى باعتبار أن تلك الصلة صلة عضوية بين العقيدة والسلوك.

لقد بنى كثير من الفلاسفة والمفكرين نماذج نظرية من السلوك الإنسانى الفردى والجماعى.. كالجمهورية التى تصورها أفلاطون، والمدينة الفاضلة التى بناها الفارابى.

وربما كانت بعض البناءات حاملة لعناصر من الحق، إلا أن أصحابها لم يوفقوا فى كثير من الأحيان فى توفير العنصر النفسى الذى يجعل الناس يعيشونها واقعا، لا على المستوى الفكرى فقط.

ولقد طرح (كانت) هذه المشكلة بشكل جدى، حيث وضع السؤال التالى: إذا كان الواجب معنى عقليا صرفا فكيف يمكن أن يكون دافعا نفسيا إلى العمل ثم انتهى فى الإجابة إلى أن عاطفة الاحترام هى الواسطة التى تجعل الواجب دافعا إلى العمل.

ولكن بيانه هذا يبقى مغرقا فى التجريد ولا يطرح عملا مفيدا.

أما الإسلام فإنه لم يكتف برسم المنهج السلوكى وبيان الدافع الذى ينبغى أن يؤدى إليه، ولكنه عمل على تهيئة النفوس وإعدادها إعدادا عمليا لتتحول المبادئ النظرية إلى واقع عملى، وبالتالى ليرتبط الدافع بالسلوك ذلك الارتباط المبتغى.

ومن الأساليب التربوية المتبعة فى ذلك:

أولا: التركيز على تقوية التصديق بالمفاهيم المتعلقة بالعقيدة والعمل لتعميق تلك المفاهيم حتى تبلغ مرحلة السيطرة على النفس، فتفيض الجوارح عندئذ بالسلوك فيما يشبه التلقائية، وتحصل هذه الدرجة من التصديق برؤية ما فى مبادئ العقيدة من عناصر الحق والصدق بعد النظر والتأمل والتدبر.

وقد كرس القرآن الكريم شطرا كبيرا من آياته لتوجيه الإنسان نحو الشواهد التى تبصر بصحة العقيدة، وهى الشواهد التى تحفل بها النفس الإنسانية.

إن الفكرة متى كانت تحمل الحق ومتى ظهر ذلك الحق ناصعا للنفس، واقتنعت اقتناعا ذاتيا، كانت دافعة إلى ما تقتضيه من العمل.

ولذلك فإن التعاليم الإسلامية أطنبت فى تبصير النفوس بالحق فى العقيدة، ودعتها إلى الاقتناع ذاتيا، فكان ذلك أسلوبا تربويا عمليا لجعل العقيدة دافعة إلى السلوك المستقيم.

ثانيا: تربية المسلم على الشعور المستديم بالحضور الإلهى فى كل ما يأتيه من الأعمال وذلك بالإحساس الداخلى بأن كل إبقاء لفعل أو انتهاء عن فعل، إنما هو تحقيق لمعنى الطاعة المطلقة لله تعالى.

وقد جاء التعبير عن هذا المعنى فى قول رسول الله ﷺ حينما سئل عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

فمن بلغ إلى حقيقة الإحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله تعالى؛ لأنه مشاهد له بقلبه ومحال أن يراه ويشهد معه سواه.

ويرى كثير من الباحثين: أن هذا المعنى قد تمثل فى مبدأ النية.. ذلك المبدأ الإسلامى الذى تقاس به الأعمال. والنية هى دالة التلازم بين الدافع أو الباعث - أى العقيدة - وبين العمل السلوكى.

وجعل الإسلام هذه النية شرطا فى قبول الأعمال جميعا إنما هو أسلوب تربوى عملى حى. يجعل المسلم دائب الربط بين عقيدته وبين عمله فيتكون له ذلك خلق من إجراء الأفعال الظاهرة وفق الصورة العقدية.

بل إن العمل الذى تتحقق فيه النية ربما أصبح هو نفسه عاملا - بكثرة التكرار - على تقوية الإيمان وتعميقه.

كما يفيد قوله تعالى: ﴿ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [النساء، الآية رقم ٦٦]. لكان خيرا لهم فى مصالحهم، وأشد تثبيتا

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم فى الإيمان رقم ٨ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

لهم فى إيمانهم، فإن الامتثال إيمانا واحتسابا يتضمن الذكرى، وتصور احترام أمر الله، والشعور بسلطانه، وإمرار هذه الذكرى على القلب عند كل عمل مشروع، يقوى الإيمان ويثبته، وكلما عمل المرء بالشريعة عملا صحيحا، انفتح له باب المعرفة فيها، بل ذلك مطرد فى كل علم.

ثالثا: الحث على العلم والدعوة إليه دعوة جعلت تحصيله فرضا عينيا فى بعض وكفائيا فى بعض آخر. ثم ربط هذا العلم بمفهوم خاص هو التصور الذهنى للحقائق التى يقترن بالسلوك العملى.

ولذلك فإن العلم الذى هو مجرد التصور ليس هو العلم المطلوب إسلاميا.

ولقد عبر الشاطبى عن ذلك المعنى بقوله: (كل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعى).

وإن هذاالربط بين الصورة والعمل فى مفهوم العلم مع الترقى فى طلبه إلى درجة الوجوب لهو تمرين تربوى من شأنه أن يجعل الإنسان ينزل من أفكاره ما يجرى عملا على جوارحه.

وإذا كان أول علم دعى الإنسان إلى تحصيله هو العلم بالعقيدة، أصبحت هذه التربية عاملة على أن تصبح العقيدة دافعة إلى تحقيق السلوك بمقتضى الشريعة.

لقد جاء الإسلام ليكون منهج حياة، والحياة عمل وسلوك، ولذلك اعتبر السلوك هو الثمرة التى يسعى إليها.

والإنسانية فى أشد الحاجة إلى السلوك الإسلامى، فى حاضرها ومستقبلها، تنشد الإسلام فتجد فيه مبتغاها من الأوامر والنواهى، والآداب، والفضائل..

والإسلام جاء إلى الإنسان ليؤكد له المعانى الإنسانية، ويوضح له معالم الطريق، ويوقظ فيه الأحاسيس والمشاعر.

والمجتمعات الإنسانية تعانى من تراكم الوثنيات، وعفن الانخراط فى سلك الذين ضلوا.. لذا كانت الحاجة إلى الإسلام ضرورية ومهمة.

ضرورية للإنسانية كلها؛ لأنه لا أمن ولا طمأنينة ولا استقرار، إلا فى ظل الإسلام.. وضرورية للمجتمعات الإسلامية خاصة؛ لأن الإسلام ليس شكلا من

الأشكال ولا دعوة يدعيها هذا أو ذاك، أو مظاهرة من المظاهرات يقودها ذاك أو هذا وإنما سلوك عملى تربوى، يدفع إلى العمل الجاد، الذى يميز المجتمعات الإسلامية بالعطاء، والبناء المثمر، الذى يفيد الإنسانية.

إن الأمة الإسلامية وهى تخطو فى وعى، جدير بمجتمعاتها أن تتسابق فى الاعتماد على النفس، والاعتداد بالشخصية الإسلامية..

ولا يخفى: أن الوعى بقضايا الإسلام والمسلمين، بات ضروريا فى وقت تتكالب فيه أمم الأرض مسعورة على مجتمعات المسلمين، وكل ما هو إسلامى.

والوعى بقضايا الأمة يقتضى أن نعمل بكل ما نملك من إمكانات علمية ومادية على توحيد صفوف المجتمعات الإسلامية ونترك التعصب المذهبى الأعمى، الذى يعمل على تقطيع أمتنا لتكون مسخا شائها تابعا ذليلا..

وكتاب منازل السائرين: للإمام شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى من أعظم الكتب التى جاءت فى بيان منازل السائرين بعد كتاب الإمام الحكيم الترمذى: «منازل العباد من العبادة» تحقيق الدكتور أحمد السايح وطبع المكتب الثقافى بالقاهرة.

وقد اهتم العلماء بشرح كتاب شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى، فشرحه الإمام ابن القيم فى كتابه: «مدارج السالكين» كما شرحه الشيخ أبو الغيض المنوفى فى كتابه: «التمكين».

وكتاب «منازل السائرين» مهم لمن يبحثون عن منازل السائرين، ولمن يريدون الطريق السوى القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومهم للعلماء والباحثين والدارسين الذين ينقبون عن الأصالة لينطلقوا فى وعى وأمن...

والله ولى التوفيق

أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح   المستشار توفيق على وهبه

نص كتاب
منازل السائرين

للإمام الهروى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

الواحد الأحد ... القيوم الصمد

اللطيف القريب

الذى أمطر سرائر العارفين

كرائم الكلِم ... من غمائم الحِكَم

وألاح لهم

لوائح القِدَم ... فى صفائح العدم

ودلَّهم على أقرب السُّبُل

إلى المنهاج الأوَّل

وردَّهم من تفرُّق العلل

إلى عين الأزل

وبثَّ فيهم ذخائره

وأودعهم سرائره

وأشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

الأول الآخر ... الظاهر الباطن

الذى مدَّ ظل التلوين

على الخليقة مدا طويلا

ثم جعل شمس التمكين

لصفوته عليه دليلا

ثم قبض ظل التفرقة

عنهم إليه قبضا يسيرا

وصلاه وسلامه على صفيه

الذى أقسم به فى إقامة حقه

محمد وآله

كثيرا

وبعد،

فإن جماعة من الراغبين

فى الوقوف على منازل السائرين . . .

إلى الحق عز اسمه

من الفقراء . . .

من أهل هراة والغرباء

طال عليّ مسألتهم إياى زمانًا

أن أبين لهم فى معرفتها بيانا

يكون على معالمها عنوانا.

فأجبتهم بذلك بعد استخارتى الله واستعانتى به

وسألونى أن أرتبها لهم ترتيبا

يشير إلى تواليها

ويدل على الفروع التى تليها

وأن أخليه من كلام غيرى وأختصره

ليكون ألطف فى اللفظ . . . وأخفّ للحفظ

وإنى خفت أنى

إن أخذت فى شرح قول أبى بكر الكتانى

«إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة»

طوّلتُ علىّ وعليهم.

فذكرت أبنية تلك المقامات

التى تشير إلى تمامها . . . وتدل على مرامها

وأرجو لهم، بعد صدق قصدها، ما قال أبو عبيد البُسْرى:

«إن لله عبادًا، يريهم فى بداياتهم. . . ما فى نهاياتهم»

ثم إنى رتبته لهم فصولا وأبوابا

يغنى ذلك الترتيب عن التطويل المؤدى إلى الملال

ويكون مندوحةً عن التسآل.

فجعلته مائة مقام . . . مقسومة على عشرة أقسام

وقد قال الجُنيد:

«قد يُنقَل العبد من حال إلى حال أرفع منها

وقد بقى عليه من التى نُقل عنها بقيّة

فيُشرف عليها من الحالة الثانية فيصلّحها»

وعندى: أنّ العبد لا يصحّ له مقام حتى يرتفع عنه

ثمّ يُشرف عليه فيصححه

واعلم: أنّ السائرين فى هذه المقامات على اختلاف مفظع

لا يجمعهم ترتيبٌ قاطع

ولا يقفهم منتهى جامع

وقد صنف جماعةٌ من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الباب تصانيف

عساك لا تراها أو أكثرها . . . على حسنها، مغنيةً كافية:

منهم: من أشار إلى الأصول ولم يَفِ بالتفصيل

ومنهم: مَن جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصًا

ولم يخصص النكتَة تخصيصا

ومنهم: من لم يميز بين مقامات الخاصة وضرورات العامة

ومنهم: مَن عدّ شطح المغلوب مقامًا

وجعل بوح الواجد ورمز المتمكّن شيئًا عاما

وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات

واعلم: أنّ العامّة من علماء هذه الطائفة . . . والمشيرين إلى هذه الطريقة

اتفقوا على أن النهايات . . . لا تصح إلا بتصحيح البدايات

كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساس.

وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السُّنة

وتعظيم النهى على مشاهدة الخوف ورعاية الحُرمة

والشفقة على العالم ببذل النصيحة وكفّ المؤنة

ومجانبة كل صاحب يُفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب

على أنّ الناس فى هذا الشأن ثلاثة نفر:

رجلٌ يعمل بين الخوف والرجاء

شاخصا إلى الحب مع صحبة الحياء

فهذا هو الذى يُسمى المريد

ورجلٌ مختطفٌ من وادى التفرّق إلى وادى الجمع

وهو الذى يُقال له المراد.

ومَن سواهما مدّعٍ مفتونٌ مخدوع.

وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث:

الرتبة الأولى: أخذ القاصد فى السير

والرتبة الثانية: دخوله فى الغربةِ

والرتبة الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد فى طريق الفناء.

وقد أخبرنا فى معنى الرتبة الأولى: الحسين بن محمد بن على الفرائضى قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن حسنويه.

قال: أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصارى قال: حدثنا عثمان بن أبى شيبة.

قال: حدثنا محمد بن بشر هو العبدى قال: حدثنا عمر بن راشد، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «سيروا سَبَقَ المفَرِّدونَ» قالوا: يا رسول الله وما المُفَرِّدون؟ قال: «المُهْتزُّونَ الذينَ يَهْتزُّونَ فى ذِكْرِ الله عزّ وجَلَّ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أثْقالَهمُ فَيَأتونَ يَوْمَ القِيامَة خِفافًا».

وهذا حديثٌ حسنٌ.

لم يروه عن يحيى بن أبى كثير إلا عمر بن راشد اليمانى.

وخالف محمد بن يوسف الفريابى فيه محمد بن بشر العبدى فرواه عن عمر بن راشد، عن يحيى، عن أبى سلمة، عن أبى الدرداء مرفوعًا. والحديث إنما هو لأبى هريرة.

رواه بندر بن بشار، ، عن صفوان بن عيسى، عن بشر بن رافع اليمانى إمام أهل نجران ومفتيهم، عن أبى عبد الله بن عم أبى هريرة، عن أبى هريرة مرفوعا.

وأحسنها طريقا، وأجودها سندا حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، وهو مخرج فى صحيح مسلم.

وروى هذا الحديث أهل الشام عن أبى أمامة مرفوعا.

قال فى كلها: «سَبَقَ المُفَرِّدن».

وأخبرنا فى معنى الدخول فى الغربة: حمزة بن محمد بن عبد الله الحسينى قال: حدثنا أبو القاسم عبد الواحد بن أحمد الهاشمى الصوفى قال: سمعت أبا عبد الله علان بن زيد الدينورى الصوفى بالبصرة.

قال: سمعت جعفر الخلدى الصوفى يقول: سمعت الجُنيد قال: سمعت السرى، عن معروف الكرخى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن على رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«طَلَبُ الحقِّ غُرْبَةٌ».

وهذا حديث غريب، ما كتبته إلا من رواية علاّن.

وأخبرنا فى معنى الحصول على المشاهدة محمد بن على بن الحسين الباشانى رحمه الله قال: حدثنا محمد بن إسحق القرشى قال: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى.

قال: حدثنا سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن مطر الورّاق، عن أبى بُرَيْدة، عن يحيى بن يعمر، عن عبد الله بن عمر، عن عمر بن الخطاب فى

حديث سؤال جبرئيل رسول الله ﷺ قال: «ما الإحسانُ» قال: «أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تَرَاهُ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَراكَ»(١).

وهذا حديث صحيح غريب، أخرجه مسلم فى الصحاح.

وهذا الحديث إشارةٌ جامعة لمذهب هذه الطائفة.

وإنى مفصلٌ لك درجات كل مقام منها

لتعرف درجة العامّة منه

ثمّ درجة السالك

ثمّ درجة المحقق.

ولكل منهم سرعة ومنهاج ووجهة هو مولاها

قد نُصِب له عَلَمٌ هو له مبعوث

وأتيح له غاية هو إليها محثوث.

وإنى أسأل الله أن يجعلنى فى قصدى مصحوبًا لا محجوبًا

وأن يجعل لى سلطانا مبينا

﴿... إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝﴾(٢).

واعلم أن الأقسام العشرة التى ذكرتُها فى صدر هذا الكتاب هى:

قسم البدايات،

ثم قسم الأبواب،

ثم قسم المعاملات،

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) سورة سبأ. الآية رقم ٥٠.

ثم قسم الأخلاق،

ثم قسم الأصول،

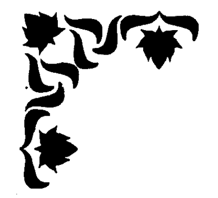
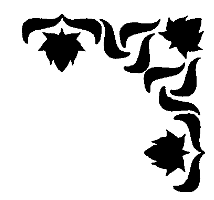
ثم قسم الأودية،

ثم قسم الأحوال،

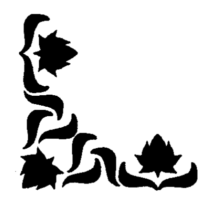
ثم قسم الولايات،

ثم قسم الحقائق،

ثم قسم النهايات.

قسم البدايات




فأما قسم البدايات فهو عشرة أبواب وهى:

اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام، والفرار، والرياضة، والسماع.

باب اليقظة

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ ... ﴾[1].

القومة لله هى اليقظة[2] من سنة الغفلة

والنهوض من ورطة الفترة.

وهى أول ما يستنير قلب العبد بالحياة

لرؤية نور التنبيه[3].

واليقظة هى ثلاثة أشياء:

الأول: لَحْظ القلب إلى النعمة

على الإياس من عدّها ... والوقوف على حدّها

والتفرّغ إلى معرفة المنّة بها ... والعلم بالتقصير فى حقها

(١) سورة سبأ. الآية رقم ٤٦.

(٢) اليقظة: هى انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، واليقظة أول منازل العبودية، واليقظة تعين على السلوك: «مدارج السالكين لابن القيم ص ٩٤».

(٣) يريد أن يقول: إن اليقظة الصادقة هى القومة والنهوض من حضيض الغفلة لاستنارة قلبه بهواتف الحق ونور التنبيه. «انظر التمكين فى شرح منازل السائرين» أبو الفيض المنوفى.

والثانى: مطالعة الجناية

والوقوف على الخطر فيها ... والتشمّر لتداركُها

والتخلّص من ربقها ... وطلب الناخاة بتمحيصها

والثالث: الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى الأيام

والتنصّل عن تضييعها ... والنظر إلى الضن بها

ليُتدارك فائتها ... ويُعْمَر باقيها

فأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء:

بنور العقل

وشَيْم برق المنّة

والاعتبار بأهل البلاء[1].

وأما مطالعة الجناية: فإنها تصحّ بثلاثة أشياء:

بتعظيم الحق

ومعرفة النفس

وتصديق الوعيد[2].

---

(١) معرفة النعمة إنها تصفو بثلاثة أشياء: بنور العقل أى بإدمان الفكر فى ملكوت السموات والأرض وفى مواهب الله على النفس أى النعم.

وقوله: وبشيم برق المنة أى ملاحظة المنن الواصلة من الحق إلى العبد.

والاعتبار بأهل البلاء: أى الذين استدرجهم الله فأولاهم من النعم الكثير.

(٢) الجناية المقصود مطالعتها: هى التقصير فى شكر النعمة والقيام بواجب الخدمة، فإذا تيقظ قلب العبد لذلك أدرك الخطر منه أى فى جناية التقصير. وهذا يدعوه للتشمير إلى تداركها.

وأما معرفة الزيادة والنقصان فى الأيام فإنها تستقيم بثلاثة أشياء:

بسماع العلم

وإجابة دواعى الحُرمْة

وصحبة الصالحين.

وملاك ذلك كله خلع العادات[1].

* * * * *

---

(١) معرفة الزيادة والنقصان. تستقيم بثلاثة أشياء: بالعلم. لأن العلم أساس كل طاعة وأول كل معرفة.

وأما إجابة داعى الحرمة، أى خشية الحق واحترام أوامره.

وأما خلع العادات: فالمراد الابتعاد عن العادات السيئة.

باب التوبة

قال الله عز وجل: ﴿ ...وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

فأسقط اسم الظلم عن التائب.

والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب.

وهى أن تنظر فى الذنب إلى ثلاثة أشياء:

إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه

وفرحك عند الظفر به

وقعودك على الإصرار عن تدركه

مع يقينك بنظر الحق إليك.

وشرائط التوبة ثلاثة أشياء:

الندم ... والاعتذار ... والإقلاع[2].

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء:

تعظيم الجناية ... واتهام التوبة ... وطلب إعذار الخليقة[3].

---

(١) سورة الحجرات. الآية رقم ١١.

(٢) حقيقة التوبة: الندم على ما سلف منه فى الماضى، والإقلاع عنه فى الحال والعزم على أن لا يعاوده فى المستقبل.

(٣) يريد بالحقائق: ما يتحقق به الشىء وتتبين به صحته وثبوته كما قال النبى ﷺ لحارثة: «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟».

وأما تعظيم الجناية: فإنه إذا استهل بها لا يندم عليها، وعلى قدر تعظيمها يكون ندمه.

وأما اتهام التوبة: فلأنها حق عليه.

وأما طلب إعذار الخليقة: فله وجهان، وجه محمود، ووجه مذموم «ابن القيم».

وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء:

تمييز التقيّة من العزة . . . ونسيان الجناية . . . والتوبة من التوبة أبدًا

لأن التائب داخلٌ فى الجميع من قوله تعالى: ﴿ . . . وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا . . . ﴾[1].

فأمر التائب بالتوبة.

ولطائف سرائر التوبة ثلاثة أشياء:

أولها: أن تنظر بين الجناية والقضية

فتتعرف مراد الله فيها . . . إذ خلاك وإتيانها

فإن الله عز وجل إنما يخلى العبد والذنب لأحد معنيين:

أحدهما: أن تُعرَف عزته فى قضائه . . . وبره فى ستره

وحلمه فى إمهال راكبه . . . وكرمه فى قبول

العذر منه . . . وفضله فى مغفرته

والثانى: ليقيم على العبد حجة عدله

فيعاقبه على ذنبه بحجته.

واللطيفة الثانية: أن تعلم أنّ طالب البصير الصادق سيئته لم يُبق له حسنةً بحالٍ

لأنه يسير بين مشاهدة المنة وتطلب عيب النفس والعمل.

واللطيفة الثالثة: أن مشاهدة العبد الحكم

لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة

لصعوده من جميع المعانى إلى معنى الحُكم[2].

(١) سورة النور. الاية رقم ٣١.

(١) النظر إلى الجناية والمعصية وذلك من وجهة عظمها وفظاعة إثباتها لا من جهة تقديرها من الله تعالى، فإن الله ما أخلى العبد. وإتيان المعصية إلا لأن يعرف العبد عزة ربه فى قضائه ويعرف بره فى ستره ويدرك حلمه فى إمهاله.

فتوبة العامة لاستكثار الطاعة

فإنه يدعو إلى ثلاثة أشياء:

إلى جحود نعمة الستر والإمهال

ورؤية الحق على الله

والاستغناء الذى هو عين الجبروت والتوثب على الله[١].

وتوبة الأوساط من استقلال المعصية

وهو عين الجرأة والمبارزة

ومحض التزيّن بالحميّة

والاسترسال للقطيعة[٢].

وتوبة الخاصة من تضييع الوقت

فإنه يدعو إلى دَرَك النقيصة

ويطفئ نور المراقبة

ويكدّر عين الصحبة[٣].

---

(١) وذلك لأن العبد خطاء وأن الكمال لله وحده، فيمهلمه الله فى خطئه عن عقابه سترا له عسى أن يحاسب نفسه، فإن عمى العبد عن ذلك رأى أن له حقا بطاعته وذلك يكون استغناء عن عفوه وهو ضرورة كما يقول الشيخ. عين الجبروت والتوثب على الله فى حقه من حيث إن الله مطلق الثواب والعقاب والعفو والستر والمغفرة. فيجب على عوام المطيعين أن يتوبوا من رؤية تلك التوبة التى تورطهم فى المعصية «المنوفى».

(٢) توبة الأوساط أى أواسط الناس يجب أن تكون توبتهم من استقلال المعصية أى استصغارها مع فظاعتها بالنسبة للطاعة مهما كانت فى قلة أو كثرة.

(٣) هذه دعوة أن تكون من تضيع الأوقات فإن لكل وقت عملا، فإذا لم يقم العبد بكل عمل فى وقته فقد ضيع ذلك الوقت.

ولا يتم مقام التوبة

إلا بالانتهاء إلى التوبة ممّا دون الحق

ثم رؤية عسّلة تلك التوبة

ثم التوبة من رؤية تلك العسّلة.

*****

باب المحاسبة

قال الله عز وجل: ﴿ ... اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ... ﴾[1].

وإنما يُسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة[2].

والعزيمة لها ثلاثة أركان:

أحدها: أن تقيس بين نعمته وجنايتك

وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء:

نور الحكمة... وسوء الظن بالنفس ... وتمييز النعمة من الفتنة[3].

والثانى: تمييز ما للحق عما لك أو منك

فتعلم أن الجناية عليك حجة

والطاعة عليك منة

والحكم عليك حجة... ما هو لك معذرة[4].

---

(١) سورة الحشر. الآية رقم ٨.

(٢) فمن أراد سلوك طريق الله حدثت يقظته وليس بعد اليقظة إلا المحاسبة المؤدية إلى التوبة كما أن التوبة إذا حدثت فلا بد من حال حدوثها من المحاسبة. فالمحاسبة أمر يجب أن يكون واقعا بعد التوبة.

(٣) وهذا معناه: أنه يجب على المقايس بين نعم الله ومعاصيه: أن ينظر بعين الحكمة والتدبر، وهو حائز لمقدار كبير من سوء الظن بالنفس وليس هذا فقط، بل إنه يدمن التفكير فى التمييز بين النعمة والفتنة لتكرار طروئها عليه.

(٤) بمعنى أن تميز ما لله عليك من ضمنها الطاعات والمراضى.

والثالث: أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهى عليك

وكل معصية عيّرت بها أخاك فهى إليك

ولا تضع ميزان وقتك من يديك[1].

* * * * *

(١) المراد بهذا ألا يخرج سالك طريق الحق عن حدود الاستقامة اللائقة به وسلوك الطريق المستقيم.

●●●●●●●●●

باب الإنابة[١]

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ...﴾[١].

الإنابة ثلاثة أشياء:

الرجوع إلى الحق إصلاحا ... كما رُجع إليه اعتذاراً

والرجـــوع إليه وفـــاءً ... كما رُجـــع إليه عهداً

والرجـــوع إليـه حـــالاً ... كما رُجـــع إليه إجابةً

وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحًا بثلاثة أشياء:

بالخروج من التبعات

والتوجع للعثرات

واستدراك الفائتات[٢].

وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاءً بثلاثة أشياء:

بالخلاص من لذّة الذنب

وبترك استهانة أهل الغفوة تخوفًا عليهم مع الرجاء لنفسك

وبالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة[٣].

---

(١) سورة الزمر. الآية رقم ٥٤. الإنابة هى الرجوع أو قل: سرعة الرجوع إلى الله فى جميع الحالات.

(٢) ومعنى استدراك الفائتات: أن يستدرك التائب المنيب ما عسى أن يكون قد فاته من طاعة فيغزم على جبرها فى بقية عمره «التمكين للمنوفى».

(٣) ومعنى ذلك: أن يتخلص من الآثار التى قد تظل فى نفسه من لذائذ الذنوب فإنها موبقة.

وإنما يستقيم الرجوع إليه حالا بثلاثة أشياء:

بالإياس من عملك

ومعاينة اضطرارك

وشَيْم برق لطفه بك.

* * * * *

باب التفكر

قال الله عـز وجل: ﴿ ... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

اعلم: أن التفكر تلمُّس البصيرة لاستدراك البغية.

وهو ثلاثة أنواع:

فكرة فى عين التوحيد

وفكرة فى لطائف الصنعة

وفكرة فى معانى الأعمال والأحوال.

فأما الفكرة فى عين التوحيد

فهى اقتحام بحر الجحود

لا يُنجى منه إلا الاعتصام بضياء الكشف

والتمسك بالعلم الظاهر.

وأما الفكرة فى لطائف الصنائع

فهى ماءٌ يسقى زرع الحكمة.

وأما الفكرة فى معانى الأعمال والأحوال

فهى تُسهّل سلوك طريق الحقيقة.

وإنما يُتخلّص من الفكرة فى عين التوحيد بثلاثة أشياء:

---

(١) سورة النحل. الآية رقم ٤٤.

بمعرفة عجز العقل

وبالإياس من الوقوف على الغاية

وبالاعتصام بحبل التعظيم.

وإنما تُدرك لطائف الصنائع بثلاثة أشياء:

بحسن النظر فى مبادئ المنن

والإجابة لدواعى الإشارات

وبالخلاص من رق الشهوات.

وإنما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال بثلاثة أشياء:

باستصحاب العلم

واتهام المرسومات

ومعرفة مواقع الغِيَر.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب التذكر

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾[(١)].

التذكر فوق التفكر

فإن التفكر طلب

والتذكر وجود[(٢)].

وأبنية التذكر ثلاثة أشياء:

الانتفاع بالعظة

واستبصار العبرة

والظفر بثمر الفكرة

وإنما يُنتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء:

بشدة الافتقار إليها.

والعمى عن عيب الواعظ

وبذكر الوعد والوعيد.

وإنما تُستبصر العبرة بثلاثة أشياء:

بحياة العقل

ومعرفة الأيام

والسلامة من الأغراض.

---

(١) سورة غافر. الآية رقم ١٣.

(٢) ومعنى قول الشيخ: أن التفكر طلب والتذكر وجود ذلك؛ لأن التذكر يأتى بعد التفكر فهو أعمق منه غورا وأكثر تحصيلا.

وإنما تُجنَى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء:

بقصر الأمل

والتأمل فى القرآن

وقلة الخلطة والتمنى والتعلق والشبع والمنام.

*****

باب الاعتصام

قال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ...﴾(١).

﴿... وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ...﴾(٢).

الاعتصام بحبل الله: هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره

والاعتصام بالله: هو الترقى عن كل موهوم والتخلص من كل تردد.

والاعتصام على ثلاث درجات:

اعتصام العامة بالخبر، استسلامًا وإذعانًا

بتصديق الوعد والوعيد

وتعظيم الأمر والنهى

وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف

وهو الاعتصام بحبل الله.

واعتصام الخاصّة بالانقطاع

وهو صون الإرادة قبضا

وإسبال الخُلق على الخلق بسطا

ورفض العلائق عزمًا

وهو التمسّك ﴿... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ...﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ١٠٣.

(٢) سورة الحج. الآية رقم ٧٨.

(٣) سورة البقرة. الآية رقم ٢٥٦.

واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال

وهو شهود الحق تفريدا بعد الاستخذاء له تعظيمًا

والاشتغال به قربًا

وهو الاعتصام بالله.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب الفرار

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ...﴾[1].

الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل[2].

وهو على ثلاث درجات:

فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً

ومن الكسل إلى التشمير حذراً وعزماً

ومن الضيق إلى السعة ثقةً ورجاءً.

وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود

ومن الرسوم إلى الأصول

ومن الحظوظ إلى التجريد.

وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق

ثم من شهود الفرار إلى الحق

ثم الفرار من الفرار إلى الحق.

*****

---

(١) سورة الذاريات. الآية رقم ٥٠.

(٢) الفرار: هو الهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل. يريد الفرار من الأغيار.

●●●●●●●●●

باب الرياضة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾(١).

الرياضة تمرين النفس على قبول الصدق.

وهى على ثلاث درجات:

رياضة العامة: تهذيب الأخلاق بالعلم

وتصفية الأعمال بالإخلاص

وتوفير الحقوق فى المعاملة.

ورياضة الخاصة: حسم التفرّق

وقطع الالتفات إلى المقام الذى جاوزه

وإبقاء العلم يجرى مجاريه.

ورياضة خاصة الخاصة: تجريد الشهود

والصعود إلى الجمع

ورفض المعارضات والمعاوضات.

*****

---

(١) سورة المؤمنون. الآية رقم ٦٠.

●●●●●●●●●
باب السماع
●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ...﴾[1].

نكتة السماع حقيقة الانتباه.

وهو على ثلاث درجات:

سماع العامة ثلاثة أشياء:

إجابة زجر الوعيد رعةً

وإجابة دعوة الوعد جهداً

وبلوغ مشاهدة المنّة استبصاراً.

وسماع الخاصة ثلاثة أشياء:

شهود المقصود فى كل رمز

والوقوف على الغاية فى كل حس

والخلاص من التلذذ بالتفرق.

وسماع خاصة الخاصة

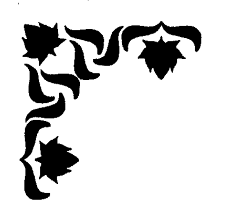
سماعٌ يغسل العلل عن الكشف

ويصل الأبد بالأزل

ويرد النهايات إلى الأوّل.

*****

(١) سورة الأنفال. الآية رقم ٢٣.




قسم الأبواب




وأما قسم الأبواب فهو عشرة أبواب وهى:

الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتل، والرجاء، والرغبة.

●●●●●●●●●

باب الحزن

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا ...﴾[1].

الحزن توجعٌ لفائت أو تأسُّفٌ على ممتنع.

وله ثلاث درجات:

الدرجة الأولى حزن العامة

وهو حزنٌ على التفريط فى الخدمة

وعلى التورط فى الجفاء

وعلى ضياع الأيام.

والدرجة الثانية حزن أهل الإرادة

وهو حزن على تعلق الوقت بالتفرق

وعلى اشتغال النفس عن الشهود

وعلى التسلى عن الحزن.

وليست الخاصة من مقام الحزن فى شىء

(١) سورة التوبة. الآية رقم ٩٢.

ولكن الدرجة الثالثة من الحزن

التحزّن للعارضات دون الخواطر

ومعارضات القصود

والاعتراضات على الأحكام.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب الخوف

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ...﴾(١).

الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر.

وهو على ثلاثة درجات:

الدرجة الأولى: الخوف من العقوبة

وهو الخوف الذى يصحّ به الإيمان

وهو خوف العامة

وهو يتولد من تصديق الوعيد

وذكر الجناية

ومراقبة العاقبة.

والدرجة الثانية: خوف المكر

فى جريان الأنفاس المستغرقة فى اليقظة... المشوبة بالحلاوة.

وليس فى مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الإجلال

وهى أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف

وهى هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة

وتصون المشاهد أحيان المسامرة

وتقصم المعاين بصدمة العزّة.

*****

(١) سورة النحل. الآية رقم ٥٠.

●●●●●●●●●

باب الإشفاق

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[1].

الإشفاق دوام الحذر مقرونًا بالترحّم.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد

وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع

وإشفاق على الخليقة لمعرفة معاذيرها.

والدرجة الثانية: إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرّقٌ

وعلى القلب أن يزاحمه عارضٌ

وعلى اليقين أن يداخله سببٌ.

والدرجة الثالثة: إشفاق يصون سعيه من العجب

ويكفّ صاحبه عن مخاصمة الخَلق

ويحمل المريد على حفظ الحدّ.

*****

(١) سورة الطور. الآية رقم ٢٦.

باب الخشوع

قال الله عـز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ... ﴾[1].

الخشوع: خمود النفس وهمود الطباع لمتعاظم أو مُفزع.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التذلّل للأمر

والاستسلام للحكم

والاتّضاع لنظر الحق.

والدرجة الثانية: ترقّب آفات النفس والعمل

ورؤية فضل كل ذى فضل عليك

وتنسّم نسيم الفناء.

والدرجة الثالثة: حفظ الحُرْمَة عند المكاشفة

وتصفية الوقت من مراياة الخَلق

وتجريد رؤية الفضل.

* * * * *

(١) سورة الحديد. الآية رقم ١٦.

●●●●●●●●●

باب الإخبات

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[1].

الإخبات: من أوائل مقام الطمأنينة

وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تستغرق العصمة الشهوة

وتستدرك الإرادةُ الغفلة

ويستهوى الطلبُ السلوة.

والدرجة الثانية: أن لا ينقّص إرادتَه سببٌ

ولا يوحش قلبَه عارضٌ

ولا تقطع الطريقَ عليه فتنةٌ.

والدرجة الثالث: أن يستوى عنده المدح والذم

وتدوم لائمته لنفسه

ويعمى عن نقصان الخَلق عن درجته.

* * * * *

(١) سورة الحج. الآية رقم ٣٤.

●●●●●●●●●

باب الزهد

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾[1].

الزهد: إسقاط الرغبة عن الشىء بالكلّيّة

وهو للعامة قربةٌ

وللمريد ضرورةٌ

وللخاصة خسةٌ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الزهد فى الشبهة بعد ترك الحرام

بالحذر من المعتبة

والأنفة من المنقصة

وكراهة مشاركة الفسّاق.

والدرجة الثانية: الزهد فى الفضول وما زاد على المسكة والبلاغ من الوقت

باغتنام التفرّغ إلى عمارة الوقت

وحسم الجأش

والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين.

والدرجة الثالثة: الزهد فى الزهد بثلاثة أشياء:

باستحقار ما زهدتَ فيه

واستواء الحالات عندك

والذهاب عن شهود الاكتساب

ناظراً إلى وادى الحقائق.

---

(١) سورة هود. الآية رقم ٨٦.

●●●●●●●●●

باب الورع

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1].

الورع: توق مستقصى على حذر . . . أو تحرج على تعظيم.

وهو آخر مقام الزهد للعامة

وأول مقام الزهد للمريد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تجنّب القبائح

لصون النفس

وتوفير الحسنات

وصيانة الإيمان.

والدرجة الثانية: حفظ الحدود عندما لا بأس به

إبقاءً على الصيانة والتقوى

وصعوداً على الدناءة

وتخلصًا عن اقتحام الحدود.

والدرجة الثالثة: التورّع عن كل داعية

تدعو إلى شتات الوقت والتعلق بالتفرق

وعارضٍ يعارض حال الجمع.

* * * * *

(١) سورة المدثر. الآية رقم ٤.

●●●●●●●●●

باب التبتل

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[1].

التبتل الانقطاع بالكلية

وقوله ﴿إِلَيْهِ﴾ دعوةٌ إلى التجريد المحض.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تجريد الانقطاع عن الحظوظ، واللحوظ إلى العالم

خوفًا ... أو رجاءً ... أو مبالاةً بحالٍ:

بحسم الرجاء بالرضى

وقطع الخوف بالتسليم

ورفض المبالاة بشهود الحقيقة.

والدرجة الثانية: تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس

بمجانبة الهوى

وتنسّم رَوْح الأنس

وشَيْم برق الكشف.

والدرجة الثالثة: تجريد الانقطاع إلى السبق

بتصحيح الاستقامة

والاستغراق فى قصد الوصول

والنظر إلى أوائل الجمع.

---

(١) سورة المزمل. الآية رقم ٨.

●●●●●●●●●

باب الرجاء

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ...﴾(١).

الرجاء(٢) أضعف منازل المريد

لأنه معارضةٌ من وجهٍ

واعتراضٌ من وجه.

وهو وقوع فى الرعونة فى مذهب هذه الطائفة

إلا ما فيه من فائدة واحدة

ولها نطق باسمه التنزيل والسُّنّة

ودخل فى مسالك المحقّقين

وتلك الفائدة أنه يفثأ حرارة الخوف

حتى لا يعدو إلى الإياس.

والرجاء على ثلاثة درجات:

الدرجة الأولى: رجاء يبعث العامل على الاجتهاد.

ويولد التلذذ بالخدمة

ويوقظ لسماحة الطباع بترك المناهى.

---

(١) سورة الأحزاب. الآية رقم ٢١.

(٢) والرجاء يفتح آفاق الأمل فى المريد.

والدرجة الثانية: رجاء أرباب الرياضات

أن يبلغوا موقفًا تصفو فيه هممهم

برفض الملذوذات

ولزوم شروط العلم

واستقصاء حدود الحَميّة.

والدرجة الثالثة: رجاء أرباب طيب القلوب

وهو رجاء لقاء الحق عز وجل

الباعث على الاشتياق

المنغّص للعيش

المزهد فى الخَلق.

*****

•••••••••

باب الرغبة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ... ﴾[1].

الرغبة أحق بالحقيقة من الرجاء

وهى فوق الرجاء

لأن الرجاء طمعٌ يحتاج إلى تحقيق

والرغبة سلوك على تحقيق.

والرغبة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رغبة أهل الخبر تتولّد من العلم

فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود

وتصون السالك من وهن الفترة

وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرُخص.

والدرجة الثانية: رغبة أرباب الحال

وهى رغبة لا تبقى من المجهود إلا مبذولاً

ولا تدع للهمة دبولاً

ولا تترك غير المقصود مأمولاً.

والدرجة الثالثة: رغبة أهل الشهود

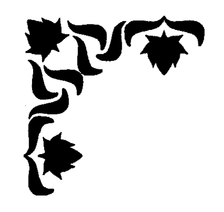
وهى تشرّفٌ تصحبه تقيّة

وتحمله همةٌ نقيّة

لا تَبقى معه من التفرّق بقيّة.

---

(١) سورة الأنبياء. الآية رقم ٩٠.




قسم المعاملات




وأما قسم المعاملات فهو عشرة أبواب وهى:

الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم.

●●●●●●●●●

باب الرعاية

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ... ﴾[1].

الرعاية صونٌ بالعناية.

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رعاية الأعمال

والدرجة الثانية: رعاية الأحوال

والدرجة الثالثة: رعاية الأوقات.

فأما رعاية الأعمال: فتوفيرها بتحقيرها

والقيام بها من غير نظر إليها

وإجراؤها مجرى العلم لا على التزين بها.

وأما رعاية الأحوال: فهى أن يعد الاجتهاد مراياةً

والنفس تشبعًا

والحال دعوى.

---

(١) سورة الحديد. الآية رقم ٢٧.

وأما رعاية الأوقات: فأن يقف مع خطوه

ثمّ أن يغيب عن خطوه بالصفاء من رسمه

ثم أن يذهب عن شهود صفوه.

*****

●●●●●●●●●

باب المراقبة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلا ذِمَّةً ...﴾(١).

المراقبة دوام ملاحظة المقصود(٢).

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مراقبة الحق فى السير إليه على الدوام

بين تعظيم مذهل

ومداناة خاملة

وسرور باعث.

والدرجة الثانية: مراقبة نظر الحق إليك

برفض المعارضة

وبالإعراض عن الاعتراض

ونقض رعونة التعرّض.

والدرجة الثالثة: مراقبة الأزل

بمطالعة عين السبق

استقبالاً لعلَم التوحيد

ومراقبة ظهور إشرات الأزل

على أحايين الأبد

ومراقبة الخلاص من ربطة المراقبة.

---

(١) سورة التوبة. الآية رقم ١٠.

(٢) المراقبة تبعث على الأمانة والحضور الإلهى.

●●●●●●●●●

باب الحرمة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ... ﴾[1].

الحُرمة هى التحرج عن المخالفات والمجاسرات

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهى

لا خوفًا من العقوبة ... فيكون خصومةً للنفس

ولا طلبًا لمثوبة ... فيكون مسترقًا للأجرة

ولا شاهدًا للجدّ ... فيكون متدينًا بالمراياة

فإن هذه الأوصاف كلها شُعَبٌ من عبادة النفس.

والدرجة الثانية: إجراء الخبر على ظاهره

وهو أن يبقى أعلام توحيد العامة الخبرية على ظواهرها

لا يتحمل البحث عنها تعسفا ... ولا يتكلف لها تأويلاً

ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلاً ... ولا يدّعى عليها إدراكًا أو توهمًا.

والدرجة الثالثة: صيانة الانبساط أن تشوبه جرأة

وصيانة السرور أن يداخله أمن

وصيانة الشهود أن يعارضه سبب.

*****

---

(١) سورة الحج. الآية رقم ٣٠.

••••••••••

باب الإخلاص

••••••••••

قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ...﴾[1].

الإخلاص تصفية العمل من كل شوب.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل من العمل

والخلاص من طلب العوض على العمل

والنزول عن الرضى بالعمل.

والدرجة الثانية: الخجل من العمل مع بذل المجهود

وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود

ورؤية العمل فى نور التوفيق من عين الجود.

والدرجة الثالثة: إخلاص العمل بالخلاص من العمل

تدعه يسير مسير العلم

وتسير أنت مشاهداً للحكم

حرا من رق الرسم[2].

* * * * *

(١) سورة الزمر. الآية رقم ٣.

(٢) والإخلاص سر من أسرار الله.

●●●●●●●●●

باب التهذيب

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾[1].

التهذيب محنة أهل البدايات

وهو شريعة من شرائع الرياضة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تهذيب الخدمة

أن لا تخالجها جهالة

ولا تسوقها عادة

ولا تقف عندها همّة.

والدرجة الثانية: تهذيب الحال

وهو لا يجمح الحال إلى علم

ولا يخضع لرسم

ولا يلتفت إلى حظ.

والدرجة الثالثة: تهذيب القصد

وهو تصفيته من ذل الإكراه

وتحفّظه من مرض الفتور

ونصرته على منازعات العلم.

*****

---

(١) سورة الأنعام. الآية رقم ٧٦.

باب الاستقامة

قال الله عز وجل: ﴿... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ...﴾[1].

قوله عز وجل ﴿إِلَيْهِ﴾ إشارةٌ إلى عين التفريد.

والاستقامة روح تحيى بها الأحوال

كما تربو للعامة عليها الأعمال

وهى برزخٌ بين أوهاد التفرّق وروابى الجمع.

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد فى الاقتصد

لا عاديًا رسم العلم

ولا متجوزا حد الإخلاص

ولا مخالفًا نهج السُّنَّة.

والدرجة الثانية: استقامة الأحوال

وهى شهود الحقيقة لا كسبًا

ورفض الدعوى لا علمًا

والبقاء مع نور اليقظة لا تحفظًا.

والدرجة الثالثة: استقامة بترك رؤية الاستقامة

وبغيبة عن تطّلب الاستقامة

بشهود إقامة الحق وتقويمه عزّ اسمه.

(١) سورة فصلت. الآية رقم ٦.

باب التوكل

قال الله عز وجل: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

الوكل كله الأمر كله إلى مالكه ... والتعويل على وكالته.

وهو من أصعب منازل العامة عليهم

وأوهى السبل عند الخاصة

لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه

وأيأس العالم من ملك شيء منها.

وهو على ثلاث درجات:

كلها تسير مسير العامة.

الدرجة الأولى: التوكل مع الطلب ... ومعاطاة السبب

على نيّة شغل النفس

ونفع الخَلق

وترك الدعوى.

والدرجة الثانية: التوكل مع إسقاط الطلب ... وغضّ العين عن السبب

اجتهاداً فى تصحيح التوكل وقمع تشرّف النفس

وتفرّغًا إلى حفظ الواجبات.

والدرجة الثالثة: التوكل مع معرفة التوكل ... النازعة إلى الخلاص من علة التوكل

(١) سورة المائدة. الآية رقم ٢٣.

وهو أن يعلم أن ملكة لحق تعالى للأشياء ملكة عزّة

لا يشاركه فيها مشارك

فيكل شركته إليه.

فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أنّ الحق هو مالك الأشياء وحده.

*****

●●●●●●●●●

باب التفويض

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1].

التفويض ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل

فإن التوكل بعد وقوع السبب

والتفويض قبل وقوعه وبعده

وهو عين الاستسلام

والتوكل شعبةٌ منه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعلم أن العبد لا يملك قبل عمله استطاعة

فلا يأمن من مكر

ولا ييأس من معونة

ولا يعول على نيّة.

والدرجة الثانية: معاينة الاضطرار

فلا ترى عملا مُنجيا

ولا ذنبا مهلكا

ولا سببا حاملا.

---

(١) سورة غافر. الآية رقم ٤٤.

والدرجة الثالثة : شهودك انفراد الحق

بملك الحركة والسكون

والقبض والبسط

ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع .

* * * * *

باب الثقة

قال الله عز وجل: ﴿ ...فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ... ﴾[1].

الثقة سواد عين التوكل

ونقطة دائرة التفويض

وسويداء قلب التسليم.

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: درجة الإياس

وهو إياس العبد من مقاواة الأحكام

ليقعد عن منازعة الأقسام

وليتخلص من قحة الإقدام.

والدرجة الثانية: درجة الأمان

وهو أمن العبد من فوت المقدور ... وانتقاص المسطور

فيظفر بروح الرضى

وإلا فبغنىَ اليقين

وإلا فبظلف الصبر.

والدرجة الثالثة: معاينة أوّليّة الحق

ليتخلص من محن القصود

وتكاليف الحمايات

والتعريج على مدارج الوسائل.

(١) سورة القصص. الآية رقم ٧.

●●●●●●●●●

باب التسليم

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

وفى التسليم والثقة والتفويض ما فى التوكل من الاعتلال

وهو من أعلى درجات سبيل العامة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب

والإذعان لما يغالب القياس من سير الدُّوَل والقِسَم

والإجابة لما يفزّع المريد من ركوب الأحوال.

والدرجة الثانية: تسليم العلم إلى الحال

والقصد إلى الكشف

والرسم إلى الحقيقة.

والدرجة الثالثة: تسليم ما دون الحق إلى الحق

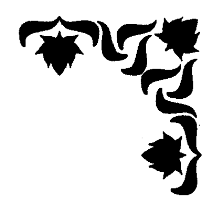
مع السلامة من رؤية التسليم

بمعاينة تسليم الحق إيّاك إليه.

*****

---

(١) سورة النساء. الآية رقم ٦٥.

قسم الأخلاق




وأما قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب وهي:

الصبر، والرضى، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخُلق، والتواضع، والفتوّة، والانبساط.

●●●●●●●●●

باب الصبر

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ...﴾(١).

الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى.

وهو أيضًا من أصعب المنازل على العامة

وأوحشها فى طريق المحبة

وأنكرها فى طريق التوحيد

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد

إبقاءً على الإيمان ... وحذرًا من الجزاء

وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً.

والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة

بالمحافظة عليها دوامًا

وبرعايتها إخلاصًا

وبتحسينها علمًا.

---

(١) سورة النحل. الآية رقم ١٢٧.

والدرجة الثالثة: الصبر فى البلاء

بملاحظة حسن الجزاء

وانتظار رَوْح الفرج

وتهوين البليّة بعد أيادى المِنَن

وتذكّر سوالف النِعَم.

وفى هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت

﴿اصْبِرُوا﴾ يعنى فى البلاء

﴿وَصَابِرُوا﴾ يعنى عن المعصية

﴿وَرَابِطُوا﴾[1] يعنى على الطاعة.

وأضعف الصبر الصبر لله ... وهو صبر العامة

وفوقه الصبر بالله ... وهو صبر المريد

وفوقهما الصبر على الله ... وهو صبر السالك.

*****

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٢٠٠، والآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)﴾.

●●●●●●●●●

باب الرضى

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1].

لم يدع فى هذه الآية للمتسخط إليه سبيلا

وشرط للقاصد الدخول فى الرضى.

والرضى اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد

لا يلتمس متقدمًا ولا متأخرًا

ولا يستزيد مزيدًا

ولا يستبدل حالاً.

وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص

وأشقها على العامة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رضى العامة

وهو الرضى بالله ربا

بسخط عبادة ما دونه

وهذا قطب رحى الإسلام

وهو يطهّر من الشرك الأكبر.

والدرجة الثانية: الرضى عن الله عز وجل

وبهذا الرضى نطقت آيات التنزيل

(١) سورة الفجر. الآية رقم ٢٨.

: وهو الرضى عنه فى كل ما قضى

وهذا من أوائ مسالك أهل الخصوص.

ويصح بثلاث شرائط:

باستواء الحالات عند العبد

وبسقوط الخصومة مع الخلق

وبالخلاص من المسألة والإلحاح.

والدرجة الثالثة: الرضى برضى الله

فلا يرى العبد لنفسه سخطا ولا رضى

فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار

وإسقاط التميز ولو أُدخِل النار.

* * * * *

باب الشكر

قال الله عز وجل: ﴿... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1].

الشكر اسم لمعرفة النعة لأنها السبيل إلى معرفة المُنعِم

ولهذا المعنى سمّى الله تعالى الإسلام والإيمان فى القرآن شكرا.

ومعانى الشكر ثلاث أشياء:

معرفة النعمة

ثم قبول النعمة

ثم الثناء بها.

وهو أيضًا من سبل العامة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الشكر فى المحاب

وهذا شكر شاركت المسلمين فيه اليهود والنصارى والمجوس

ومن سعة بر البارئ أنه عده شكرًا

ووعد عليه الزيادة

وأوجب له المثوبة.

والدرجة الثانية: الشكر فى المكاره

وهذا ممن يستوى عنده الحالات إظهارُ الرضى

وممن يميز بين الأحوال كظمُ الشكوى

(1) سورة سبأ. الآية رقم ١٣.

ورعاية الأدب

وسلوك مسلك العلم

وهذا الشاكر أول من يُدعى إلى الجنة.

والدرجة الثالثة: أن لا يشهد العبد إلا المُنعِم

فإذا شهد المنعم عبودةً استعظم منه النعمة

وإذا شهده حبا استحلى منه الشدة

وإذا شهده تفريداً لم يشهد منه شدة ولا نعمة.

*****

●●●●●●●●●

باب الحياء

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾[(١)].

الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص

يتولد من تعظيم منوط بود

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: حياءٌ يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه

فيجذبه إلى تحمل المجاهدة

ويحمله على استقباح الجناية

ويُسكته عن الشكوى.

والدرجة الثانية: حياءٌ يتولد من النظر في علم القرب

فيدعوه إلى ركوب المحبة

ويربطه برَوْح الأنس

ويكرِّه إليه ملابسة الخَلق.

والدرجة الثالثة: حياءٌ يتولد من شهود الحضرة

وهى التى تشوبها هيبة

ولا تقاويها تفرقة

ولا يوقف لها على غاية.

*****

---

(١) سورة العلق. الآية رقم ١٤.

●●●●●●●●●

باب الصدق

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾(1).

الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولا ووجودًا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: صدق القصد

وبه يصح الدخول فى هذا الشأن

ويُتلافى به كل تفريط

ويُتدارك كل فائت

ويُعمَّر كل خراب.

وعلامة هذا الصادق أن لا يحتمل داعيةً تدعو إلى نقض عهد

ولا يصبر على صحبة ضد

ولا يقعد عن الجد بحالٍ.

والدرجة الثانية: أن لا يتمنى الحياة إلا للحق

ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان

ولا يلتفت إلى ترفيه الرُّخَص.

والدرجة الثالثة: الصدق فى معرفة الصدق

فإن الصدق لا يستقيم فى علم الخصوص إلا على حرف واحد

---

(1) سورة محمد. الآية رقم ٢١.

وهو أن يتفق رضى الحق بعمل العبد أو حاله أو وقته

وإتيان العبد وقصده.

فيكون العبد راضيًا مرضيًا

فأعماله إذًا مرضية

وأحواله صادقة

وقصوده مستقيمة.

وإن كان العبد كسى ثوبًا معارًا

فأحسن أعماله ذنبٌ

وأصدق أحواله زورٌ

وأصفى قصوده قعودٌ.

* * * * *

باب الإيثار

قال الله عز وجل: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾(1).

الإيثار تخصيص واختيار

والأثرة تحسن طوعًا وتصح كرهًا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك

فيما لا يحرم عليك دينًا

ولا يقطع عليك طريقًا

ولا يفسد عليك وقتًا.

ويستطاع هذا بثلاثة أشياء:

بتعليم الحقوق

ومقت الشحّ

والرغبة فى مكارم الأخلاق.

والدرجة الثانية: إيثار رضى الله تعالى على رضى غيره

وإن عظمت فيه المحن

وثقلت به المُؤَن

وضعفت عنه الطول والبدن.

---

(1) سورة الحشر. الآية رقم ٩.

ويستطاع هذا بثلاثة أشياء:

بطيب العُود

وحسن الإسلام

وقوّة الصبر.

والدرجة الثالثة: إيثار إيثار الله تعالى

فإن الخوض فى الإيثار دعوى فى المُلك

ثم ترك شهود رؤيتك إيثار الله

ثم غيبتك عن الترك.

*****

●●●●●●●●●

باب الخلق

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

الخُلُق ما يرجع إليه المتكلف من نعته

واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف: هو الخُلُق

وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد

وهو بذل المعروف وكفّ الأذى.

وإنما يُدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشاء:

فى العلم.. والجود.. والصبر

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعرف مقام الخلق

أنهم بأقدارهم مربوطون

وفى طاقتهم محبوسون

وعلى الحكم موقوفون.

فتستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء:

أمن الخَلق منك حتى الكلب

ومحبة الخلق إياك

ونجاة الخَلق بك.

---

(١)سورة القلم. الآية رقم ٤.

والدرجة الثانية: تحسين خُلقك مع الحق

وتحسينه منك أن تعلم أنّ كل ما يأتى منك يوجب عذراً

وكل ما يأتى من الحق يوجب شكراً

وأن لا ترى له من الوفاء بدا.

والدرجة الثالثة: التخلّق بتصفية الخُلُق

ثم الصعود عن تفرّق التخلق

ثم التخلق بمجاوزة الأخلاق.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب التواضع

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ...﴾[1].

التواضع أن يتّضع العبد لصولة الحق

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التواضع للدين

وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً

ولا يتّهم على الدين دليلا

ولا يرى إلى الخلاف سبيلا.

ولا يصح ذلك إلا بأن يعلم أن النجاة فى البصرية

والاستقامة بعد الثقة

وأن البينة وراء الحجّة.

والدرجة الثانية: أن ترضى بمن رضى الحق لنفسه عبدًا ... من المسلمين أخا

وأن لا ترد على عدوك حقا

وتقبل من المعتذر معاذيره.

والدرجة الثالثة: أن تتّضع للحق

فتنزل عن رأيك فى الخدمة

ورؤية حقك فى الصحبة

وعن رسمك فى المشاهدة.

●●●●●●●●●

(١) سورة الفرقان. الآية رقم ٦٣.

باب الفتوة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿...إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾[1].

نكتة الفتوة أن لا تشهد لك فضلا . . . ولا ترى لك حقا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ترك الخصومة

والتغافل عن الزلة

ونسيان الأذية.

والدرجة الثانية: أن تقرب من يقصيك

وتكرم من يُؤذيك

وتعتذر إلى من يجنى عليك

سماحًا لا كظمًا

وبراحًا لا مصابرة.

والدرجة الثالثة: أن لا تتعلق فى المسير بدليل

ولا تشوب إجابتك بعوض

ولا تقف فى شهودك على رسم.

واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة

ولم يخجل من المعذرة إليه

لم يشم رائحة الفتوة.

---

(١) سورة الكهف. الآية رقم ١٣.

ثم فى علم الخصوص

من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال

لم يحل له دعوى الفتوة أبدا.

*****

••••••••••

باب الانبساط

••••••••••

قال الله عز وجل حاكيا عن كليمه عليه السلام: ﴿ ... أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ... ﴾[١].

الانبساط إرسال السجيّة والتحاشى من وحشة الحشمة

وهو السير مع الجبّلة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الانبساط مع الخَلق

وهو أن لا تعتزلهم ضنا على نفسك ... أو شحا على حظك

وتسترسل لهم فى فضلك

وتسعهم بخُلقك

وتدعهم يطؤونك

والعلم قائم

وشهودك المعنى دائم.

والدرجة الثانية: الانبساط مع الحق

وهو لا يُجنْبك خوف

ولا يحجبك رجاء

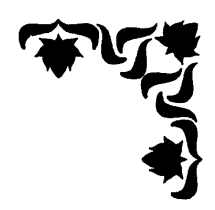
ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء.

والدرجة الثالثة: الانبساط فى الانطواء عن الانبساط

وهو رحب الهمة لانطواء انبساط العبد فى بسط الحق جل جلاله.

*****

(١) سورة الأعراف. الآية رقم ١٥٥.

قسم الأصول




وأما قسم الأصول فهو عشرة أبواب، وهى:

القصد، والعزم، والإرادة، والأدب، واليقين، والأنس، والذكر، والفقر، والغنى، ومقام المراد.

●●●●●●●●●

باب القصد

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...﴾[1].

القصد: الإزماع على التجرّد للطاعة.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: قصدٌ يبعث على الارتياض

ويخلص من التردد

ويدعو إلى مجانبة الأغراض.

والدرجة الثانية: قصدٌ لا يلتقى سببًا إلا قطعه

ولا يدع حائلا إلا منعه

ولا تحاملا إلا سهّله.

والدرجة الثالثة: قصد استسلام لتهذيب العلم

وقصد إجابة لوَطْئ الحكم

وقصد اقتحام فى بحر الفناء.

*****

(1) سورة النساء. الآية رقم ١٠٠.

●●●●●●●●●

باب العزم

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾[1].

العزم تحقيق القصد طوعا أو كرها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إباء الحل على العلم

بشَيْم برق الكشف

واستدامة نور الأنس

والإجابة لإماتة الهوى.

والدرجة الثانية: الاستغراق فى لوائح المشاهدة

واستنارة ضياء الطريق

واستجماع قوى الاستقامة.

والدرجة الثالثة: معرفة عسلة العزم

ثم العزم على التخلص من العزم.

ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم

فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثا أكرم

من وقوفهم على علل العزائم.

*****

---

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ١٥٩.

●●●●●●●●●

باب الإرادة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ...﴾[1].

الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته

وهي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعًا.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ذهابٌ عن العادات بصحبة العلم

وتعلق بأنفاس السالكين مع صدق القصد

وخلع كل شاغل من الإخوان

ومُشتّت من الأوطان.

والدرجة الثانية: تقطعٌ بصحبة الحال

وترويح الأنس

والسير بين القبض والبسط.

والدرجة الثالثة: ذهولٌ مع صحة الاستقامة

وملازمة الرعاية

على تهذيب الأدب.

*****

(١) سورة الإسراء. الآية رقم ٨٤.

●●●●●●●●●

باب الأدب

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ...﴾(١).

الأدب حفظ الحد بين العلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: منع الخوف أن يتعدى إلى الإياس

وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن

وضبط السرور أن يضاهى الجرأة.

والدرجة الثانية: الخروج من الخوف إلى ميدان القبض

والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط

والترقى عن السرور إلى ميدان المشاهدة.

والدرجة الثالثة: معرفة الأدب

ثم الغنى عن التأدب بتأديب الحق

ثم الخلاص من شهود أعباء الأدب.

* * * *

(١) سورة التوبة. الآية رقم ١١٢.

●●●●●●●●●

باب اليقين

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[1].

اليقين مركب الآخذ فى هذا الطريق

وهو غاية فى درجات العامة

وقيل أول خطوة الخاصة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علم اليقين

وهو قبول ما ظهر من الحق

وقبول ما غاب للحق

والوقوف على ما قام بالحق.

والدرجة الثانية: عين اليقين

وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال

وعن الخبر بالعيان

وخرق الشهود حجاب العلم.

والدرجة الثالثة: حق اليقين

وهو إسفار صبح الكشف

ثم الخلاص من كلفة اليقين

ثم الفناء فى حق اليقين.

(١) سورة الذاريات. الآية رقم ٢٠.

●●●●●●●●●

باب الأنس

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...﴾(١).

الأنس عبارة عن رَوْح القرب

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الأنس بالشواهد

وهو استحلاء الذكر

والتغذى بالسماع

والوقوف على الإشارات.

والدرجة الثانية: الأنس بنور الكشف

وهو أنسٌ شاخصٌ عن الأنس الأوّل

تشوبه صولة الهيمان

ويضربه موج الفناء.

وهذا الذى غلب قوما على عقولهم

وسلب قوما طاقة الاصطبار

وحل عنهم قيود العلم.

وفى هذا ورد الخبر بهذا الدعاء:

«أسألك شوقًا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

---

(١) سورة البقرة. الآية رقم ١٨٦.

والدرجة الثالثة: أنس اضمحلال فى شهود الحضرة

لا يُعبر عن عينه

ولا يشار إلى حده

ولا يوقَف على كنهه.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب الذكر

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ... ﴾[1].

يعنى إذا نسيت غيره ونسيت نفسك فى ذكرك

ثم نسيت ذكرك فى ذكرك

ثم نسيت فى ذكر الحق إياك كل ذكر.

والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر

من ثناء ... أو دعاء ... أو رعاء.

والدرجة الثانية: الذكر الخفى

وهو الخلاص من الفتور

والبقاء مع الشهود

ولزوم المسامرة.

والدرجة الثالثة: الذكر الحقيقى

وهو شهود ذكر الحق إياك

والتخلص من شهود ذكرك

ومعرفة افتراء الذاكر فى بقائه مع ذكره.

*****

(١) سورة الكهف. الآية رقم ٢٤.

●●●●●●●●●

باب الفقر

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ...﴾[1].

الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فقر الزهّاد

وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطا أو طلبا

وإسكات اللسان عنها ذما أو مدحا

والسلامة منها طلبا أو تركا

وهذا هو الفقر الذى تكلموا فى شرفه.

والدرجة الثانية: الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل

وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال

ويقطع شهود الأحوال

ويمحّص من أدناس مطالعة المقامات.

والدرجة الثالثة: صحّة الاضطرار

والوقوع فى يد التقطّع الوحدانى

والاحتباس فى قيد التجريد

وهذا فقر الصوفية.

*****

(١) سورة فاطر. الآية رقم ١٥.

باب الغنى

قال الله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[1].

الغنى اسم للملك التام.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غنى القلب

وهو سلامته من السبب

ومسالمته الحكم

وخلاصة من الخصومة.

والدرجة الثانية: غنى النفس

وهو استقامتها على المرغوب

وسلامتها من المسخوط

وبراءتها من المراياة.

والدرجة الثالثة: الغنى بالحق

وهو على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: شهود ذكره إياك

والثانية: دوام مطالعة أوّليّته

والثالثة: الفوز بوجوده.

*****

(١) سورة الضحى. الآية رقم ٨.

باب مقام المراد

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ ...﴾[1].

أكثر المتكلمين فى هذا العلم جعلوا المراد والمريد اثنين

وجعلوا مقام المراد فوق مقام المريد

وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر.

وللمراد ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يعصم العبد وهو يستشرف لجفاء اضطراراً

بتنغيص الشهوات

وتعويق الملاذ

وسد مسالك المعاطب عليه إكراهًا.

والدرجة الثانية: أن يضع عن العبد عوار النقص

ويعافيه من سمة اللائمة

ويملكه عواقب الهفوات

كما فعل بسليمان فى قتل الخيل

حمله على الريح الرخاء والعاصف

فأغناه عن الخيل

وفعل بموسى حين ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه

لم يعتب عليه كما عتب على آدم ونوح وداود ويونس.

---

(١) سورة القصص. الآية رقم ٨٦.

والدرجة الثالثة: اجتباء الحق عبده

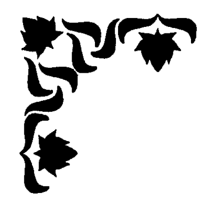
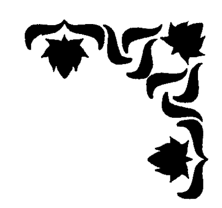
واستخلاصه إياه بخالصته

كما ابتدأ موسى وهو خرج يقتبس ناراً.

فاصطنعه لنفسه

وأبقى منه رسمًا معاراً.

****

قسم الأودية




وأمّا قسم الأودية فهو عشرة أبواب، وهى:

الإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراسة، والتعظيم، والإلهام، والسكينة، والطمأنينة، والهمسة.

●●●●●●●●●

باب الإحسان

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[1].

قد ذكرنا فى صدر الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوى يجمع أبواب الحقائق وهو: «أن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[2].

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسان فى القصد

بتهذيبه علما

وإبرامه عزمًا

وتصفيته حالاً.

والدرجة الثانية: الإحسان فى الأحوال

وهو أن تراعيها غيرة

وتسترها تظرفًا

وتصحّحها تحقيقًا.

---

(١) سورة الرحمن. الآية رقم ٦٠.

(٢) جزء من حديث صحيح وقد سبق تخريجه.

والدرجة ألثالثة : الإحسان فى الوقت

وهو أن لا تزايل المشاهدة أبدا

ولا تلحظ لهمّتك أمداً

وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً .

*****

● ● ● ● ● ● ● ● ●

باب العلم

● ● ● ● ● ● ● ● ●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1].

العلم ما قام بدليل ورفع الجهل

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علمٌ جليٌّ

يقع بعيان

أو استفاضة صحيحة

أو صحة تجربة قديمة.

والدرجة الثانية: علمٌ خفيٌّ

ينبت فى الأسرار الطاهرة

من الأبزار الزاكية

بماء الرياضة الخالصة

ويظهر فى الأنفاس الصادقة لأهل الهمّة العاليّة

فى الأحايين الخالية

فى الأسماع الصاحية.

وهو علمٌ يُظهر الغائب

ويغيّب الشاهد

ويشير إلى الجمع.

---

(١) سورة الكهف. الآية رقم ٦٥.

والدرجة الثالثة: علمٌ لَدُنيٌّ

إسناده وجوده

وإدراكه عيانه

ونعته حكمه

ليس بينه وبين الغيب حجاب.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب الحكمة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾[1].

الحكمة اسم لإحكام وضع الشىء فى موضعه

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطى كل شىء حقه

ولا تعديه حده

ولا تعجله وقته.

والدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله فى وعيده

وتعرف عدله فى حكمه

وتلحظ برّه فى منعه.

والدرجة الثالثة: أن تبلغ فى استدلالك البصيرة

وفى إرشادك الحقيقة

وفى إشارتك الغاية.

*****

(١) سورة البقرة. الآية رقم ٢٦٩.

•••••••••
باب البصيرة
•••••••••

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1].

البصيرة ما يخلصك من الحيرة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعلم أن الخبر القائم بتمهيد الشريعة

يصدر عن عين لا تخاف عواقبها

فترى من حقه أن تلذه يقينا

وتغضب له غيرةً.

والدرجة الثانية: أن تشهد فى هداية الحق وإضلاله إصابة العدل

وفى تلوين أقسامه رعاية البر

وتعاين فى جذبه حبل الوصال.

والدرجة الثالثة: بصيرة تفجر المعرفة

وتثبت الإشارة

وتُنبت الفراسة.

*****

(١) سورة يوسف. الآية رقم ١٠٨.

باب الفراسة

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1].

التوسّم التفرّس

وهو استئناس حكم غيب

من غير استدلال بشاهد ولا اختبار بتجربة.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فراسةٌ طارئة نادرة

تسقط على لسان وحشي في العمر مرة

لحاجة سمع مريد صادق إليها

لا يوقف على مخرجها

ولا يُوبَه بصاحبها.

وهذا شيء لا يلخَّص من الكهانة وما ضاهاها

لأنها لم تشر عن عين

ولم تصدر عن علم

ولم تُسْقَ بوجود.

والدرجة الثانية: فراسةٌ تُجنى من غرس الإيمان

وتطلع من صحّة الحال

وتلمع من نور الكشف.

(١) سورة الحجر. الآية رقم ٧٥.

والدرجة الثالث: فراسةٌ سرية

لم تجتلبها روية

على لسان مصطنع

تصريحًا أو رمزًا.

*****

باب التعظيم

قال الله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾[1].

التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهى

وهو أن لا يُعارَضا بترخصٍ جافٍ

ولا يُعرَّضا لتشديد غالٍ

ولا يُحملا على علةٍ تُوهِن الانقياد.

والدرجة الثانية: تعظيم الحكم

أن يُبغى له عَوجٌ

أو يدافع بعلم

أو يُرضى بعوض.

والدرجة الثالثة: تعظيم الحق

وهو أن لا تجعل دونه سببًا

أو ترى عليه حقا

أو تنازع له اختياراً.

*****

(١) سورة نوح. الآية رقم ١٣.

••••••••••
باب الإلهام
••••••••••

قال الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ...﴾[1].

الإلهام مقام المحدَّثين

وهو فوق الفراسة

لأن الفراسة ربما وقعت نادرةً

أو استصعبت على صاحبها وقتًا

واستعصت عليه

والإلهام لا يكون إلا فى مقام عتيد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إلهام نبأيقع وحيًا قاطعًا

مقرونًا بمساع أو مطلقًا.

والدرجة الثانية: إلهام يقع عينًا

وعلامة صحته أنه لا يخرق سترًا

ولا يجاوز حدا

ولا يخطئ أبدا.

والدرجة الثالثة: إلها يجلو عين التحقيق صرفًا

وينطق عن عين الأل محضا.

وللإلهام غاية تمتنع عن الإشارة إليها.

---

(١) سورة النمل. الآية رقم ٤٠.

●●●●●●●●●

باب السكينة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾[1].

اسم السكينة لثلاثة أشياء:

أولها: سكينة بنى إسرائيل التى أعطوها فى التابوت

قال أهل التفسير «هى ريحٌ هفّافة»[2] وذكروا صفتها

وفيها ثلاثة أشياء:

هى لأنبيائهم معجزة

ولملوكهم كرامة

وهى آية النصرة تخلع قلوب العدو بصوتها رعبًا

إذ التقى الصفّان للقتال.

والسكينة الثانية: التى تنطق على ألسن المحدَّثين ليست هى شيئًا يُملك

إنما هى شىء من لطائف صنيع الحق

يلقى على لسان المحدَّث الحكمة

كما يلقى المسلم الوحى على قلوب الأنبياء

وتُنطق المحدَّثين بنكت الحقائق

مع ترويح الأسرار

وكشف الشُّبه.

---

(١) سورة الفتح. الآية رقم ٤.

(٢) راجع كتب التفسير.

والسكينة الثالثة: هى التى أُنزلت فى قلب النبى ﷺ وقلوب المؤمنين

وهى شىء يجمع نوراً ... وقوة .... وروحًا

يسكن إليه الخائف

ويتسلى به الحزين والضجر

ويستكين له العصى ... والجرىء ... والأبى.

وأما سكينة الوقار: التى تراها نعتًا لأربابها

فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التى ذكرناها

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: سكينة الخشوع عند القيام بالخدمة

رعايةً ... وتعظيمًا ... وحضوراً.

والدرجة الثانية: السكينة عند المعاملة

بمحاسبة النفس

وملاطفة الخلق

ومراقبة الحق.

والدرجة الثالثة: السكينة التى تُنبت الرضى بالقِسَم

وتمنع من الشطح الفاحش

وتقف صاحبها على حد الرتبة.

والسكينة لا تنزل قط إلا فى قلب نبى أو ولى.

*****

باب الطمأنينة

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[1].

الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان.

وبينه وبين السكينة فرقان:

أحدهما أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانًا

والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس.

والثانى أن السكينة تكون نعتًا وتكون حينًا بعد حين

ولطمأنينة نعتٌ لا يزايل صاحبه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى طمأنينة القلب بذكر الله

وهى طمأنينة الخائف إلى الرجاء

والضجر إلى الُحكم

والمبتلى إلى المثوبة.

والدرجة الثانية طمأنينة الرُوح فى القصد إلى الكشف

وفى الشوق إلى العدة

وفى التفرقة إلى الجمع.

والدرجة الثالثة طمأنينة شهود الحضرة إلى اللطف

وطمأنينة الجمع إلى البقاء

وطمأنينة المقام إلى نور الأزل.

---

(١) سورة الفجر. الآية رقم ٢٧.

●●●●●●●●●

باب الهمة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[1].

الهمّة ما يملك الانبعاث للمقصود صرفًا

لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: همةٌ تصون القلب من خسّة الرغبة فى الفانى

وتحمله على الرغبة فى الباقى

وتصفيه من كدر التوانى.

والدرجة الثانية: همة تورث أنفةً من المبالاة بالعلل

والنزول على العمل

والثقة بالأمل.

والدرجة الثالثة: همةٌ تصاعد عن الأحوال والمقامات

وتُزرى بالأعواض والدرجات

وتنحو عن النعوت نحو الذات.

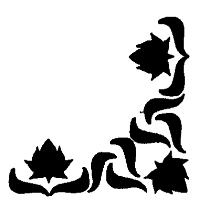
*****

---

(١) سورة النجم. الآية رقم ١٧.




قسم الأحوال

وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهى:

المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والبرق، والذوق.

●●●●●●●●●

باب المحبة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾[1].

المحبة تعلق القلب بين الهمّة والأنس، فى البذل والمنع، على الإفراد.

والمحبة أوّل أودية الفناء

والعقبة التى ينحدر منها على منازل المحو

وهى آخر منزل تلقى فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة

وما دونها أغراض لأعواض.

والمحبة هى سمة الطائفة

وعنوان الطريقة

ومعقد النسبة.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: محبةٌ تقطع الوساوس

وتلذّ الخدمة

وتسلى عن المصائب.

---

(١) سورة المائدة. الآية رقم ٥٤.

وهى محبة تنبت من مطالعة المنة

وتثبت باتباع السنّة

وتنمو على الإجابة للفاقة.

والدرجة الثانية: محبةٌ تبعث على إيثار الحق على غيره

وتُلهج اللسان بذكره

وتُعلق القلب بشهوده.

وهى محبةٌ تظهر من مطالعة الصفات

والنظر فى الآيات

والارتياض بالمقامات.

والدرجة الثالثة: محبةٌ خاطفة تقطع العبارة

وتدفق الإشارة

ولا تنتهى بالنعوت.

وهى المحبة هى قطب هذا الشأن

وما دونها محاب نادت عليها الألسن

وادّعتها الخليقة

وأوجبتها العقول.

* * * * *

باب الغيرة

قال الله عز وجل حاكيا عن سليمان عليه السلام: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾[1].

الغيرة سقوط الاحتمال ضنا

والضيق عن الصبر نفاسةً.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غيرة العابد على ضائع يسترد ضياعه

ويستدرك فواته

ويتدارك تواه.

والدرجة الثانية: غيرة المريد على وقت فات

وهى غيرة قاتلة

فإن الوقت وحى الغضب

أبى الجانب

بطىء الرجوع.

والدرجة الثالثة: غيرة العارف على عين غطاها غبنٌ

وسر غشيه رينٌ

ونَفَس علق برجاء

أو التفت إلى عطاء.

(١) سورة ص. الآية رقم ٣٣.

باب الشوق

قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ...﴾[1].

الشوق هبوب القلب إلى غائب

وفي مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة

فإن الشوق إنما يكون إلى غائب

ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة

ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: شوق العابد إلى الجنة

ليأمن الخائف

ويفرح الحزين

ويظفر الآمل.

والدرجة الثانية: شوقٌ إلى الله عز وجل

زرعه الحبّ الذى نبت على حافات المِنَن

فعلق قلبه بصفاته المقدسة

فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه

وآيات بره

وأعلام فضله.

(١) سورة العنكبوت. الآية رقم ٥.

وهذا الشوق تفثأه المبار

وتخالجه المسار

ويقاويه الاصطبار.

والدرجة الثالثة: نارٌ أضرمها صفو المحبة

فنغّصت العيش

وسلبت السلوة

ولم ينهنها مُعَزٍ دون اللقاء.

*****

●●●●●●●●●

باب القلق

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام: ﴿... وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[1].

القلق تحريك الشوق بإسقاط الصبر

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: قلقٌ يضيق الخُلق

ويبغض الخَلق

ويلذّذ الموت.

والدرجة الثانية: قلقٌ يغالب العقل

ويخلي السمع

ويصاول الطاقة.

والدرجة الثالثة: قلقٌ لا يرحم أبداً

ولا يقبل أمداً

ولا يُسقى أحداً.

*****

---

(١) سورة طه. الآية رقم ٨٤.

●●●●●●●●●●

باب العطش

●●●●●●●●●●

قال الله عـز وجل حاكـيا عن خليله عليـه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ...﴾[1].

العطش كنايةعن غلبة ولوعٍ بمأمول

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: عطش لمريد إلى شاهد يرويه

أو إشارة تشفيه

أو عَطْفَة تؤويه.

• والدرجة الثانية: عطش السالك إلى أجل يطويه

ويوم يريه ما يغنيه

ومنزل يستريح فيه.

والدرجة الثالثة: عطش المحب إلى جلوة ما دونها سحاب علة

ولا يغطيها حجاب تفرقة

ولا يعرج دونها على انتظار.

*****

(١) سورة الأنعام. الآية رقم ٧٦.

باب الوجد

قال الله عز وجل: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ...﴾[1].

الوجد لهبٌ يتأجج من شهود عارض مقلق

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: وجدٌ عارضٌ

يستفيق له شاهد السمع

أو شاهد البصر

أو شاهد الفكر

أبقى على صاحبه أثراً أو لم يُبقِ.

والدرجة الثانية: وجدٌ يستفيق له الرُّوح

بلمع نور أزلى

أو سماع نداء أولى

أو جذب حقيقى

إن أبقى على صاحبه لباسه

وإلا أبقى عليه نوره.

والدرجة الثالثة: وجدٌ يخطف العبد من يد الكونين

ويمحص معناه من درن الحظ

ويسلبه من رق الماء والطين

إن سلبه أنساه اسمه

وإن لم يسلبه أعاره رسمه.

(١) سورة الكهف. الآية رقم ١٤.

●●●●●●●●●

باب الدهش

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ...﴾(١).

الدهش بهتةٌ تأخذ العبد إذ فجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: دهشة المريد

عند صولة الحال على علمه

والوجد على طاقته

والكشف على همّته.

والدرجة الثانية: دهشة السالك

عند صولة الجمع على رسمه

والسبق على وقته

والمشاهدة على روحه.

والدرجة الثالثة: دهشة المحب

عند صولة الاتصال على لطف العطية

وصولة نور القرب على نور العَطْف

وصولة شوق العيان على شوق الخبر.

*****

---

(١) سورة يوسف. الآية رقم ٣١.

●●●●●●●●●

باب الهيمان

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ... ﴾[1].

الهيمان ذهاب عن التماسك تعجبًا أو حيرةً

وهو أثبت دوامًا وأملك بالنعت من الدهش

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: هيمانٌ فى شَيْم أوائل برق اللطف عند قصد الطريق

مع ملاحظة العبد خسة قدره

وسفالة منزلته

وتفاهة قيمته.

والدرجة الثانية: هيمان فى تلاطم أمواج التحقيق

عند ظهور براهينه

وتواصل عجائبه

ولياح أنواره.

والدرجة الثالثة: هيمان عند الوقوع فى عين القِدَم

ومعاينة سلطان الأزل

والغرق فى بحر الكشف.

*****

(١) سورة الأعراف. الآية رقم ١٤٣.

باب البرق

قال الله عز وجل: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا ...﴾[1].

البرق باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول فى هذا الطريق

والفرق بينه وبين الوجد

أن الوجد يقع بعد الدخول فيه

فالوجد زادٌ والبرق إذنٌ

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: برقٌ يلمع من جانب العدة فى عين الرجاء

يستكثر فيه العبد القليل من العطاء

ويستقل فيه الكثير من الأعباء

ويستحلى فيه مرارة القضاء.

والدرجة الثانية: برقٌ يلمع من جانب الوعيد فى عين الحذر

فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل

ويزهد فى الخَلق على القرب

ويرغب ف تطهير السر.

والدرجة الثالثة: برقٌ يلمع من جانب اللطف فى عين الافتقار

فيُنشئ سحاب السرور

ويمر قطر الطرب

ويُجرى نهر الافتخار.

(١) سورة طه. الآية رقم ١٠.

•••••••••

باب الذوق

•••••••••

قال الله عز وجل: ﴿هَذَا ذِكْرٌ ...﴾[1].

الذوق أبقى من الوجد وأجلى من البرق

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ذوق التصديق طعم العدة

فلا يعقله ضنّ

ولا يقطعه أمل

ولا تعوقه أمنية.

والدرجة الثانية: ذوق الإرادة طعم الأنس

فلا يعلق به شاغل

ولا يفتنه عارض

ولا تكدّره تفرقة.

والدرجة الثالثة: ذوق الانقطاع طعم الاتصال

وذوق الهمة طعم الجمع

وذوق المسامرة طعم العيان.

*****

(١) سورة ص. الآية رقم ٤٩.




قسم الولايات




وأما قسم الولايات فهو عشرة أبواب وهى:

اللحظ، والوقت، والصفاء، والسرور، والسر، والنَفَس، والغربة، والغرق، والغيبة، والتمكّن.

●●●●●●●●●

باب اللحظ

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ... ﴾(1).

اللحظ لمح مسترق

وهو فى هذا الباب على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ملاحظة الفضل سبقًا

وهى تقطع طريق السؤال إلا ما استحقّته الربوبية من إظهار التذلل لها

وتُنبت السرور إلا ما يشوبه من حذر المكر

وتبعث على الشكر إلا ما قام به الحق عز وجل من حق الصفة.

والدرجة الثانية: ملاحظة نور الكشف

وهى تُسبل لباس التولى

وتذيق طعم التجلى

وتعصم من عوار التسلى.

(1) سورة الأعراف. الآية رقم ١٤٣.

والدرجة الثالثة: ملاحظة عين الجمع

وهى توقظ لاستهانة المجاهدات

وتخلص من رعونة المعارضات

وتفيد مطالعة البدايات.

* * * * *

باب الوقت

قال الله عز وجل: ﴿ ... ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾[1].

الوقت اسمٌ لظرف الكون

وهو اسم فى هذا الباب لثلاثة معانٍ على ثلاث درجات:

المعنى الأول: حين وجدٍ صادقٍ لإيناس ضياء فضلٍ جذبه صفاء رجاء

أو لقصمة جذبها صدق خوف

أو لتلهيب شوق جذبه اشتعال محبة.

والمعنى الثانى: اسم لطريق سالكٍ يسير بين تمكّن وتلوّن لكنه إلى التمكن

ما هو يسلك الحال ويلتفت إلى العلم

فالعلم يشغله فى حين والحال يحمله فى حين.

فبلاؤه بينهما يذيقه شهودًا طورًا

ويكسوه غيرة طورًا

ويريه غيرة تفرق طورًا.

والمعنى الثالث: قالوا «الوقت الحق»

أرادوا به استغراق رسم الوقت فى وجود الحق

وهذا المعنى يشق على هذا الاسم عندى.

لكنه هو اسم فى هذا المعنى الثالث

---

(١) سورة طه. الآية رقم ٤٠.

لحينٌ يتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا

وهو فوق البرق والوجد

وهو يشارف مقام الجمع لو دام وبقى

ولا يبلغ وادى الوجود

لكنه يكفى مؤنة المعاملة

ويصفى عين المسامرة

ويُشم روائح الوجود.

* * * * *

●●●●●●●●●

باب الصفاء

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[1].

الصفاء اسم للبراءة من الكدر

وهو فى هذا الباب سقوط التلوّن

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: صفاء علم

يهذب لسلوك الطريق

ويبصر غاية الجد

ويصحح همة القاصد.

والدرجة الثانية: صفاء حال

تُشاهد به شواهد التحقيق

وتُذاق به حلاوة المناجاة

ويُنسَى به الكون.

والدرجة الثالثة: صفاء اتصال

يُدرج حظ العبودية فى حق الربوبية

ويُغرق نهايات الخبر فى بدايات العيان

ويطوى خسة التكاليف فى عز الأزل.

*****

(١) سورة ص. الآية رقم ٤٧.

باب السرور

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ...﴾[1].

السرور اسم لاستبشار جامع

وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابها الأحزان

ولذلك نزل القرآن باسمه فى أفراح الدنيا فى مواضع

وورد اسم السرور فى الموضعين فى القرآن فى حال الآخرة.

وهو فى هذا الباب على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان:

حزن أورثه خوف الانقطاع

وحزنٌ هاجته ظلمة الجهل

وحزنٌ أغشته وحشة التفرق.

والدرجة الثانية: سرور شهودٍ

كشف حجاب العلم

وفك رق التكلف

ونفى صغار الاختيار.

والدرجة الثالثة: سرور سماع الإجابة

وهو سرور يمحو آثار الوحشة

ويقرع باب المشاهدة

ويُضحك الروح.

(١) سورة يونس. الآية رقم ٥٨.

●●●●●●●●●

باب السر

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ... ﴾[1].

أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر

وهم ثلاث طبقات على ثلاث درجات:

الطبقة الأولى: طائفة علت هممهم

وصفت قصودهم

وصحّ سلوكهم

ولم يوقف لهم على رسم

ولم ينسبوا إلى اسم

ولم تشر إليهم الأصابع

أولئك ذخائر الله عز وجل حيث كانوا.

والطبقة الثانية: طائفة أشاروا عن منزل وهم فى غيره

وورّوا بأمر وهم لغيره

ونادوا على شأن وهم على غيره

بين غيرة عليهم تسترهم

وأدب فيهم يصونهم

وظرف يهذبهم.

(١) سورة هود. الآية رقم ٣١.

والطبقة الثالثة: طائفة أسرهم الحق عنهم

فألاح لهم لائحًا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه

وهيّمهم عن شهود ما هم له

وضن بحالهم على علمهم معرفة ما هم به

فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم

من قصد صادق يهيجه غيب

وحب صادق يخفى عليهم علمه

ووجد غريب لا ينكشف لهم موقده.

وهذا من أرق مقامات أهل الولاية.

* * * * *

باب النفس

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ... ﴾[1].

يُسمى النفس نفسا لتروح المتنفس به

وهو على ثلاث درجات:

وهى تشابه درجات الوقت.

والأنفاس ثلاثة:

النفس الأول: نَفَسٌ فى حين استتارٍ

مملوءٌ من الكظم ... معلق بالعلم

إن تنفس تنفس نَفَس المتأسف

وإن نطق نطق بالحرب.

وعندى هو يتولد من وحشة الاستتار

وهى الظلمة التى قالوا إنها مقام.

والنفس الثانى: نَفَسٌ فى حين التجلى

وهو نفسٌ شاخصٌ عن مقام السرور إلى روح المعاينة

مملوء من نور الوجود

شاخصٌ إلى مُنقطع الإشارة.

والنفس الثالث: نفس مطهَّر بماء القدس

قائم بإشارات الأزل

---

(١) سورة الأعراف. الآية رقم ١٤٣.

وهو النفس الذى يسمى صَدَف النور.

فالنفس الأول: للغيور سراج

والنفس الثانى: لقاصد معراج

والنفس الثالث: للمحقّق تاج.

*****

باب الغربة

قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ...﴾[1].

الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الغربة عن الأوطان

وهذا الغريب موته شهادة

ويقاس له فى قبره من متوفّاه إلى وطنه

ويُجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

والدرجة الثانية: غربة الحال

وهذا من الغرباء الذين طُوبى لَهم

وهو رجل صالح فى زمان فاسد بين قوم فاسدين

أو عالمٌ بين قوم جاهلين

أو صديق بين قوم منافقين.

والدرجة الثالثة: غربة الهمة

وهى غربة طلب الحق

وهى غربة العارف

لأن العارف فى شاهده غريب

(١) سورة هود. الآية رقم ١١٦.

ومصحوبه فى شاهده غريب

وموجوذه فيما يحمله علم أو يظهره وجد

أو يقوم به رسم أو تطيقه إشارة

أو يشمله اسم غريب

فغربة العارف غربة الغربة

لأنه غريب الدنيا وغريب الآخرة.

*****

●●●●●●●●●

باب الفرق

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾(١).

هذا اسم يشار به فى هذا الباب إلى من توسط المقام وجاوز حد التفرق.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: استغراق العلم فى عين الحال

وهذا رجلٌ قد ظفر بالاستقامة

وتحقق فى الإشارة

فاستحق صحة النسبة.

والدرجة الثانية: استغراق الإشارة فى الكشف

وهذا رجل ينطق عن موجوده

ويسير مع مشهوده

ولا يحس برعونة رسمه.

والدرجة الثالثة: استغراق الشواهد فى الجمع

وهذا رجلٌ شملته أنوار الأولية

وفتح عينه فى مطالعة الأزلية

فتخلص من الهمم الدنية.

*****

---

(١) سورة الصافات. الآية رقم ١٠٣.

●●●●●●●●●

باب الغيبة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ...﴾[1].

الغيبة التى يشار بها فى هذا الباب على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غيبة المريد فى مخلص القصد

عن أيدى العلائق

ودرك العوائق

لالتماس الحقائق.

والدرجة الثانية: غيبة السالك

عن رسوم العلم

وعلل السعى

ورُخص الفتور.

والدرجة الثالثة: غيبة العارف

عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات

فى حصن الجمع.

*****

(١) سورة يوسف. الآية رقم ٨٤.

•••••••••

باب التمكن

•••••••••

قال الله عز وجل: ﴿... وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[1].

التمكّن فوق الطمأنينة

وهو إشارة إلى غاية الاستقرار

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تمكُّن المريد

وهو أن تجتمع له صحة قصد تسيره

ولمع شهود يحمله

وسعة طريق تروحه.

والدرجة الثانية: تمكُّن السالك

وهو أن تجتمع له صحة انقطاع

وبرق كشف

وصفاء حال.

والدرجة الثالثة: تمكُّن العارف

وهو أن يحصل فى الحضرة

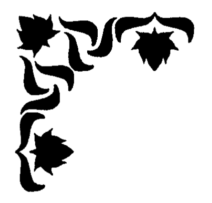
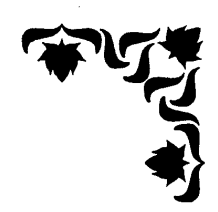
فوق حجب الطلب

لابسًا نور الوجود.

*****

---

(١) سورة الروم. الآية رقم ٦٠.

قسم الحقائق




وأما قسم الحقائق فهو عشرة أبواب، وهى:

المكاشـفة، والمشاهدة، والمعـاينة، والحيـاة، والقبض، والبـسط، والسكر، والصحو، والاتصال، والانفصال.

●●●●●●●●●

باب المكاشفة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[1].

المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين

وهى فى هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح

وهى أن تكون مستديمة

فإذا كانت حينا دون حين

لم يعارضه تفرق

غير أن الغين ربما شاب مقامه

على أنه قد بلغ مبلغا

لا يلفته قاطعٌ

ولا يلويه سببٌ

ولا يقتطعه حظ

---

(١) سورة النجم. الآية رقم ١٠.

وهى درجة القاصد

فإذا استدامت فهى الدرجة الثانية.

وأما الدرجة الثالثة: فمكاشفة عين

لا مكاشفة علم

ولا مكاشفة حال

وهى مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ

أو تُلجئ إلى توقف

أو تُنزل على ترسّم.

وغاية هذه المكاشفة المشاهدة.

*****

باب المشاهدة

قال الله عــز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

المشاهدة سقوط الحجاب بتا

وهى فوق المكاشفة

لأن المكاشفة ولاية النعت

وفيه شىء من بقاء الرسم

والمشاهدة ولاية العين والذات.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مشاهدة معرفة

تجرى فوق حدود العلم

فى لوائح نور الوجود

منيخة بفناء الجمع.

والدرجة الثانية: مشاهدة معاينة

تقطع حبال الشواهد

وتلبس نعوت القدس

وتخرس ألسنة الإشارات.

---

(١) سورة ق. الآية رقم ٣٧.

والدرجة الثالثة: مشاهدة جمعٍ

تجذب إلى عين الجمع

مالكة لصحة الورود

راكبة بحر الوجود.

*****

●●●●●●●●●

باب المعاينة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ...﴾.

المعاينات ثلاث:

إحداها: معاينة الأبصار

والثانية: معاينة عين القلب

وهى معرفة الشىء على نعته

علمًا يقطع الريبة ولا تشوبه حيرة

وهذه معاينةٌ بشواهد العلم.

والمعاينة الثالثة: معاينة عين الروح

وهى التى تعاين الحق عيانا محضا

والأرواح إنما طُهرت وأكرمت بالبقاء

لتناغى سناء الحضرة

وتشاهد بهاء العزة

وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة.

*****

---

(١) سورة الفرقان. الآية رقم ٤٥.

باب الحياة

قال الله عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ...﴾[1].

اسم الحياة فى هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء:

الحياة الأولى: حياة العلم من موت الجهل

لها ثلاثة أنفاس:

نفس الخوف

ونفس الرجاء

ونفس المحبة.

والحياة الثانية: حياة الجمع من موت التفرقة

لها ثلاثة أنفاس

نفس الاضطرر

ونفس الافتقار

ونفس الافتخار.

والحياة الثالثة: حياة الوجود وهى حياة بالحق

لها ثلاثة أنفاس:

نفس الهيبة وهو يميت الاعتلال

ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال

ونفس الانفراد وهو يورث الاتصال

وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة

ولا طاقة للإشارة.

---

(١) سورة الأنعام. الآية رقم ١٢٢.

●●●●●●●●●

باب القبض

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾[1].

القبض فى هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن

الذين ادّخرهم الحق اصطناعا لنفسه

وهم ثلاث فرق:

فرقة: قبضهم إليه قبض التوفى

فضن بهم على أعين العالمين.

وفرقة: قبضهم بسترهم فى لباس التلبيس

وأسبل عليهم أكلة الرسوم

فأخفاقهم عن عيون العالم.

وفرقة: قبضهم منهم إليه

فصافاهم مصافاة سر

فضن بهم عليه.

*****

---

(١) سورة الفرقان. الآية رقم ٤٦.

••••••••••

باب البسط

••••••••••

قال الله عز وجل: ﴿ ... يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ... ﴾[1].

البسط أن تُرسل شواهد العبد فى مدرج العلم

ويُسبَل على باطنه رداء الاختصاص

وهم أهل التلبيس

وإنما بُسطوا فى ميدان البسط

لأحد ثلاثة معان

لكل معنى طائفة.

فطائفة: بُسطت رحمةً للخلق

يباسطونهم ويلابسونهم

فيستضئون بنورهم

والحقائق مجموعة

والسرائر مصونة.

وطائفة: بُسطت لقوة معانيهم وتصميم مناظرهم

لأنهم طائفة لا تخالج الشواهد مشهودهم

ولا تضرب رياح الرسوم موجودهم

فهم منبسطون فى قبضة القبض.

وطائفة: بُسطت أعلاما على الطريق

وأئمة للهدى

ومصابيح للسلكين.

---

(١) سورة الشورى. الآية رقم ١١.

●●●●●●●●●

باب السكر

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل حاكيا عن كليمه عليه السلام: ﴿ ... رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ... ﴾[1].

السكر فى هذا الباب اسمٌ يشار به إلى سقوط التمالك فى الطرب

وهذا من مقامات المحبين خاصة

فإن عيون الفناء لا تقبله

ومنازل العلم لا تبلغه.

وللسكر ثلاث علامات:

الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم

واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم

والغرق فى بحر السرور والصبر هائم.

وما سوى ذلك فحيرة تنحل اسم السكر جهلا

أو يمان يُسمى باسمه جورا

وما سوى ذلك فكله نقائص البصائر.

كسكر الحرص

وسكر الجهل

وسكر الشهوة.

*****

---

(١) سورة الأعراف. الآية رقم ١٤٣.

باب الصحو

قال الله عـز وجل: ﴿... حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ...﴾[1].

الصحو فوق السكر

وهو يناسب مقام البسط.

والصحو مقام صاعدٌ عن الانتظار

مُغنٍ عن الطلب

طاهر من الحرج.

فإن السكر إنما هو فى الحق

والصحو إنما هو بالحق

وكل ما كان فى عين الحق لم يخل من حيرة

لا حيرة الشبهة

بل الحيرة فى مشاهدة نور العزة.

وما كان بالحق لم يخل من صحة

ولم يُخف عليه من نقيصة

ولم تتعاوره علة.

والصحو من منازل الحياة

وأودية الجمع

ولوائح الوجود.

(١) سورة سبأ. الآية رقم ٢٣.

باب الاتصال

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1].

أيأس العقول فقطع البحث بقوله ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وللاتصال ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: اتصال الاعتصام

ثم اتصال الشهود

ثم اتصال الوجود.

فاتصال الاعتصام تصحيح القصد

ثم تصفية الإرادة

ثم تحقيق الحال.

والدرجة الثانية: اتصال الشهود

وهو الخلاص من الاعتلال

والغنى عن الاستدلال

وسقوط شتات الأسرار.

والدرجة الثالثة: اتصال الوجود

وهذا الاتصال لا يُدرك منه نعت ولا مقدار

إلا اسم معار

ولمح إليه مشار.

---

(١) سورة النجم. الآية رقم ٩.

●●●●●●●●●

باب الانفصال

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ... ﴾.

ليس فى المقامات شىء فيه من التفاوت ما فى الانفصال

ووجوهه ثلاثة:

أحدها: انفصال هو شرط الاتصال

وهو الانفصال عن الكونين

بانفصال نظرك إليهما

وانفصال توقّفك عليهما

وانفصال مبالاتك بهما.

والثانى: انفصال عن رؤية الانفصال الذى ذكرناه

وهو أن لا يتزنا عندك فى شهود التحقيق شيئا

يوصل بالانفصال منهما إلى شىء.

والثالث: انفصال عن الاتصال

وهو انفصال من شهود مزاحمة الاتصال عين السبق

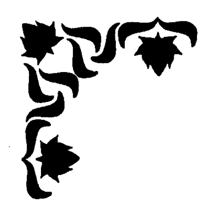
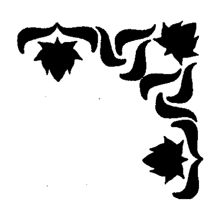
فإن الانفصال والاتصال

على عُظم تفاوتهما فى الاسم والرسم

فى العلة سيّان.

*****

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ٢٨.

قسم النهايات




وأما قسم النهايات فهو عشرة أبواب، وهى:

المعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد.

●●●●●●●●●

باب المعرفة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ...﴾[1].

المعرفة إحاطة بعين الشىء كما هو

وهى على ثلاث درجات

والخلق فيها ثلاث فِرَق:

الدرجة الأولى: معرفة الصفات والنعوت

وقد وردت أساميها بالرسالة

وظهرت شواهدها فى الصنعة

بتبصير النور القائم فى السر

وطيب حياة العقل لزرع الفكر

وحياة القلب بحسن النظر

بين التعظيم وحسن الاعتبار

وهى معرفة العامة

التى لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها.

(١) سورة المائدة. الآية رقم ٨٣.

وهى على ثلاثة أركان:

أحدها: إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه

ونفى التشبيه عنها من غير تعطيل

والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها.

والدرجة الثانية: معرفة الذات

مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات

وهى تنبت بعلم الجمع

وتصفو فى ميدان الفناء

وتستكمل بعلم البقاء

وتشارف عين الجمع.

وهى على ثلاثة أركان:

إرسال الصفات على الشواهد

وإرسال الوسائط على المدارج

وإرسال العبارات على المعالم

وهى معرفة الخاصة

التى تؤنس من أفق الحقيقة.

والدرجة الثالثة: معرفة مستغرقة فى محض التعريف

لا يوصل إليها الاستدلال

ولا يدل عليها شاهد

ولا تستحقها وسيلة.

وهى على ثلاثة أركان:

مشاهدة القرب

والصعود عن العلم

ومطالعة الجمع

وهى معرفة خاصة الخاصة.

*****

باب الفناء

قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ...﴾(١).

الفناء فى هذا الباب اضمحلال ما دون الحق

علما ... ثم جحدا ... ثم حقا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فناء المعرفة فى المعروف

وهو الفناء علما

وفناء العيان فى المعاين

وهو الفناء جحداً

وفناء الطلب فى الوجود

وهو الفناء حقا.

والدرجة الثانية: فناء شهود الطلب لإسقاطه

وفناء شهود المعرفة لإسقاطها

وفناء شهود العيان لإسقاطه.

والدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الفناء

وهو الفناء حقا.

شائما برق العين

راكبا بحر الجمع

سالكا سبيل البقاء.

(١) سورة الرحمن. الآية رقم ٢٧.

باب البقاء

قال الله عز وجل: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

البقاء اسم لما بقى قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم، عينًا لا علما

[والدرجة الثانية:][2] وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود، وجودًا لا نعتًا

[والدرجة الثالثة:][3] وبقاء ما لم يزل حقا ... بإسقاط ما لم يكن محوا.

*****

(١) سورة الأعلى. الآية رقم ١٧.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) ساقطة من الأصل.

●●●●●●●●●

باب التحقيق

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... ﴾[1].

التحقيق تلخيص مصحوبك

من الحق ... ثم بالحق ... ثم فى الحق

وهذه أسماء درجاته الثلاث.

أما درجة: تلخيص مصحوبك من الحق فأن لا يخالج علمك علمه.

وأما الدرجة الثانية: فأن لا ينازع شهودك شهوده

وأما الدرجة الثالثة: فأن لا يناسم رسمك سبقه.

فتسقط الشهادات

وتبطل العبارات

وتفنى الإشارات.

*****

---

(١) سورة البقرة. الآية رقم ٢٦٠.

•••••••••

باب التلبيس

•••••••••

قال الله عز وجل: ﴿... وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1].

التلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم

وهو اسم لثلاث معان:

أولها: تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة

وهو تعليقه الكوائن بالأسباب والأماكن والأحايين

وتعليقه المعارف بالوسائط والقضايا بالحجج والأحكام بالعلل

والانتقام بالجنايات والمثوبة بالطاعات

فأخفى الرضى والسخط

اللذين يوجبان الوصل والفصل

ويُظهران السعادة والشقاوة

والتلبيس الثاني: تلبيس أهل الغيرة

على الأوقات بإخفائها ... وعلى الكرامات بكتمانها

والتلبيس بالمكاسب والأسباب

وتعليق الظاهر بالشواهد والمكاسب

تلبيسا على العيون الكليلة ... والعقول العليلة

مع تصحيح التحقيق عقدا... وسلوكا... ومعاينة

وهذه الطائفة رحمةٌ من الله عز وجل

---

(١) سورة الأنعام. الآية رقم ٩.

على أهل التفرقة والأسباب

في ملابسهم.

والتلبيس الثالث: تلبيس أهل التمكن على العالم

ترحمًا عليهم بملابسة الأسباب

توسيعًا عليهم بملابسة الأسباب

وهذه درجة الأنبياء

ثم هى للأئمة الربانيين

الصادرين عن وادى الجمع

المشيرين عن عينه.

****

●●●●●●●●●

باب الوجود

●●●●●●●●●

أطلق الله عز وجل فى القرآن اسم الوجود سريحًا فى مواضع فقال:

﴿ ... يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[1].

﴿ ... لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾[2].

﴿ ... وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ ... ﴾[3].

الوجود اسم للظفر بحقيقة الشىء

وهو اسم لثلاثة معان:

أولها: وجود علم لدُنى

يقطع علوم الشواهد فى صحة مكاشفة الحق إياك

والثانى: وجود الحق وجود عين

مقتطعا عن مساغ الإشارة.

والثالث: وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه

بالاستغراق فى الأولية.

*****

---

(1) سورة النساء. الآية رقم ١١٠.

(2) سورة النساء. الآية رقم ٦٤.

(3) سورة النور. الآية رقم ٣٩.

باب التجريد

قال الله عز وجل: ﴿... فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ...﴾[1].

التجريد انخلاع عن شهود الشواهد

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تجريد عين الكشف عن كسب اليقين

والدرجة الثانية: تجريد عين الجمع عن درك العلم

والدرجة الثالثة: تجريد الخلاص من شهود التجريد.

*****

(١) سورة طه. الآية رقم ١٢.

●●●●●●●●●

باب التفريد

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿... وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[1].

التفريد اسم لتخليص الإشارة

إلى الحق . . . ثم بالحق . . . ثم عن الحق

فأما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات:

تفريد القصد عطشا

ثم تفريد المحبة تلفًا

ثم تفريد الشهدود اتصالا.

وأما تفريد الإشارة بالحق فعلى ثلاث درجات:

تفريد الإشارة بالافتخار بوحًا

وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعة

وتفريد الإشارة بالقبض غيرة.

وأما تفريد الإشارة عن الحق

فانبساط يبسط ظاهر

يتضمن قبضا خالصا

للهداية إلى الحق والدعوة إليه.

*****

(١) سورة النور. الآية رقم ٢٥.

●●●●●●●●●

باب الجمع

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ... ﴾[(١)].

الجمع ما أسقط التفرقة

وقطع الإشارة

وشخص عن الماء والطين

بعد صحة التمكين

والبراءة من التلوين

والخلاص من شهود الثنوية

والتنافى من إحساس الاعتلال

والتنافى من شهود شهودها.

وهو على ثلاث درجات:

جمع علم ... ثم جمع وجود ... ثم جمع عين

فأما جمع العلم: فهو تلاشى علوم الشواهد فى العلم اللدنى صرفا

فأما جمع الوجود: فهو تلاشى نهاية الاتصال فى عين الوجود محقا

فأما جمع العين: فهو تلاشى كل ما تقله الإشارة فى ذات الحق حقا.

والجمع غاية مقامات السالكين

وهو طرف بحر التوحيد.

---

(١) سورة الأنفال. الآية رقم ١٧.

●●●●●●●●●

باب التوحيد

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾(١).

التوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث

وإنما نطق العلماء بما نطقوا به

وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق

لقصد تصحيح التوحيد

وما سواه من حال أو مقام

فكله مصحوب العلل.

والتوحيد على ثلاثة وجوه:

الوجه الأولى: توحيد العامة الذى يصح بالشواهد

والوجه الثانى: توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق

والوجه الثالث: توحيد قائم بالقِدَم وهو توحيد خاصة الخاصة.

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن «لا إله إلا الله» وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢).

هذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم

وعليه نُصبت القبلة

وبه وُجبت الذمة

وبه حُقنت الدماء والأموال

وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر

---

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ١٨.

(٢) سورة الإخلاص. الآية رقم ٣، ٤.

وصحت به الملة للعامة

وإ لم يقوموا بحق الاستدلال

بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة

بصدق شهادة صحّحها قبول القلب.

هذا توحيد العامة

الذى يصح بالشواهد

والشواهد هي الرسالة والصنائع

يجب بالسمع

ويُوجَد بتبصير الحق

وينمو على مشاهدة الشواهد.

وأما التوحيد الثانى: الذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة.

وهو إسقاط الأسباب الظاهرة

والصعود عن منازعات العقول

وعن التعلق بالشواهد

وهو أن لا تشهد فى التوحيد دليلا

ولا فى التوكل سببا

ولا للنجاة وسيلة

فتكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه

ووضعه الأشياء مواضعها

وتعليقه إياها بأحايينها

وإخفائه إياها فى رسومها

وتحقق معرفة العلل

وتسلك سبيل إسقاط الحدث.

هذا توحيد الخاصة

الذى يصح بعلم الفناء

ويصفو فى علم الجمع

ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

وأما التوحيد الثالث: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته.

وأخرسهم عن نعته

وأعجزهم عن بثه

والذى يشار به إليه على ألسن المشيرين

أنه إسقاط الحدث وإثبات القِدَم

على أن هذا الرمز فى ذلك التوحيد علة

لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها.

هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق

وإن زخرفوا له نعوتًا

وفصّلوه فصولاً

فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً

والصفة نفوراً

والبسط صعوبةٌ.

وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال

وله قصد أهل التعظيم

وإياه عنى المتكلمون فى عين الجمع.

وعليه تصطلم الإشارات

ثم لم ينطق عنه لسان

ولم تشر إليه عبارة

فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكون

أو يتعاطاها حينٌ

أو يقله سببٌ.

وقد أجبت فى سالف الزمان

سائلا سألنى عن توحيد الصوفية

بهذه القوافى الثلاث:

ما وَحَّدَ الواحِدَ مِنْ وَاحِدٍ ... إذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جاحِدُ

تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عنْ نَعْتِه ... عـارِيَةٌ أبْطَلَها الواحِـدُ

تَوْحيــدُهُ إيَّاهُ تَوْحيــدُهُ ... ونَعْتُ مَنْ يَنْعَـتُهُ لاحِدُ

*****

فهرست